وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

العلاقة بين اللّفظ والمعنى عند البلاغيين القدامى

خطة البحث

البسملة

دعـــاء

شكـــر وعرفـــان

إهـــداء

مقدمـــة

مدخـــل

الفصل الأول :آراء البلاغيين القدامى حول ظاهرة اللفظ والمعنى في اللغة

المبحث الأول:الجمع بين الألفاظ

الجـــاحظ.

أبـــو هلال العسكـــري.

المبحث الثاني:الجمع بين اللفظ والمعنى.

ابن قـــتـــيبة.

قدامـة ابن جعفر.

الفصل الثانـــي:علاقة اللفظ بالمعنى وأثرها في اللغة

المبحث الأول :وحدة اللفظ والمعنى

ابن رشيق.

ابن الأثير.

المبحث الثاني:العلاقة بين اللفظ والمعنى

عبد القاهر الجرجاني.

خاتـــــمة

قائـمة المصادر والمراجع

الفهـــرس

اهـــداء

أهدي ثمرة هذا الجهد :

إلى نبع الحنان ورمز الحب، وملاكي في الحياة إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ،إلى من وضع الله الجنّة تحت قدميها ،إلى من كشفت عني الأحزان وغرست فيّ القيم النبيلة ،وأنارت دربي ،وأرادت أن أكون مثلا للفتاة الصالحة...

أمي الحبيبة أطال الله عمرها.

إلى من أفتخر بنسبي إليه ...إلى من عمل بكد وشقاء في سبيل علمي وسعادتي ،إلى من علمني الحياة ،ومعنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه ،أرجو من الله عز وجل أن يطول في عمرك لترى أن شقاءك لم يذهب سدّى ولترى أن الثمار قد حان قطفها بعد طول انتظار ...

ليك والدي الحنون.

إلى الذين عشت معهم أيام حياتي حلوها ومرها:

إلى أخواتي:خيرة –فاطيمة الزهرة.

إلى إخوتي:عبد الكريم –لخضر-محمد.

إلى عماتي وبناتهم ،إلى أعمامي :محمد-إبراهيم

وبنات عمي رحمه الله:خيرة...أميمة.

إلى كل الأهل والأقارب ،إلى من أرعد التفاؤل بعيونهم والسعادة في ضحكتهم.

إلى خالي محمد وزوجته رقية ،وأبناءه :آية –ياسين –قادة ،والكتكوتة الصغيرة سامية.

إلى من تحملت معي عماء المذكرة وشقاء الدراسة إلى الأخت "نصيرة"وكل عائلتها ،خاصة إلى الأخت "عائشة"،وإلى التي ساعدتني في إنجاز هذه المذكرة :الأخت مباركة.

إلى من تحلو بالإخاء والوفاء...إلى ينابيع المحبة الصافية إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في درب الحياة سرت....

إلى من كانوا معي على طريق النجاح ...صديقاتي وأصدقائي:

فاطمة الزهراء-ابتهال-ايمان –بشرى-ابتسام-أحلام-توفيق-عبد الإله-مختار.

وإلى كل من دعالي بالتوفيق والنجاح إلى جيراني وجاراتي ...وإلى كل من حمل لقب شايف ،وإلى كل أساتذة وطلبة لأدب دراسات لغوية دفعة **2018-2019** خاصة طلبة الفوج الثاني .

****** خضرة******

إهـــداء

لوجه الله الكريم الذي وفقني لانجاز هذا العمل المتواضع ،إلى من هي قوتي في ضعفي ورجائي في يأسي وعزائي في حزني والتي لن أردّ جميلها حتى لو نزفت آخر قطرة لأجلها والتي سيظل قلبي ينبض بحبها كونها أمي الحنونة ،الحبيبة العزيزة،والغالية على قلبي .

إلى مرشد دربي والدي العزيز .

وأخصّ بالذكر الأخت العزيزة والغالية على قلبي "عائشة "التي كانت دائما سندا لي في مشواري الدراسي فشكرا لكي.

إلى شقيقاتي العزيزات وأبناءهم ..حورية ومخطارية.

إلى الإخوة الكرام وأبنائهم .

إلى من انتقل إلى جوار ربه أخي العزيز إبراهيم رحمه الله وأطال الله في عمر إبنه أمحمد فوضيل .

وإلى كل عائلة هشماوي وسعادي كبيرا وصغيرا.

إلى من شاركتني عناء هذا البحث زميلتي العزيزة خضرة وكل عائلتها

إلى الأخت مباركة التي ساعدتني في إنجاز هذه المذكرة

إلى كل زميلات الدراسة وخاصة :فاطمة الزهراء-ابتيهال –ابتسام-أحلام-نجاة- مماحي حورية

ايمان والزملاء عبد الهادي-بلال-سيف الإسلام.

إلى كل طلبة دفعة **2018-2019** .

أهدي ثمرة جهدي هذه.

*******نصيرة******

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضله علينا عزو جل ،فالحمد والشكر لله كما ينبغي لجلال وجهه العظيم حتى يبلغ الحمد والشكر منتهاه.

أما بعد:

"**فمن لم يشكر للعبد لم يشكر لله** "

نخص بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى أستاذي "لعرج عجال" ،الذي تفضل وشرفنا ،والذي تحلى برفق الوالد ...وتعاون الأستاذ...وعطاء العالم...فلم يبخل علينا بوقته وجهده حتى علمنا كيف نتعلم ...فجزاه الله عنا خير جزاء.

كما وجب علينا أن نتقدم بالشكر والإمتنان إلى من أشعل شمعة في دروبنا ،وإلى كل من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا ...إلى كل أساتذتنا منذ ولوجنا إلى المدرسة إلى غاية اليوم.

كما نتقدم بشكرنا إلى من جعلوا أوراقنا المبعثرة مذكرة منظمة يروق للناظر قراءتها "**اليازيد مباركة**"و"**هشماوي خيرة**".

إلى كل طالب علم ومعرفة.

**** نصيرة/خضرة****

لقد حظيت اللّغة العربية بجهود كبيرة بالدراسة المستفيضة من أجل الحفاظ على نطقها بريئًا من شوائب اللّحن ، نقيًا من مظاهر اللّكنة ومن ضمن ما تناولته هذه الدّراسات قضية "**اللّفظ والمعنى**" ،وما لهما من أثر بالغ في الدرس اللّغوي من طرف النّقاد ،وخاصة عند البلاغيين العرب ،حيث شُغل بها منّذ العهد المبكر يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري(2هـ).

وقد نشأت هذه الفكرة وترعرّعت في بيئة المتكلمين الذين اتجه بعضهم إلى ربط قضية الإعجاز القرآني بالنظم أو الصّياغة ،ويُعدّ "**أبو إسحاق الظلم**" ،أول من فصل في سياق مناقشة قضية الإعجاز شكل القرآن عن مضمونه ،فأصبح مصطلح الإعجاز منذ وقت مبكر يطلق على جملة الخصائص البيانية ،والبلاغية واللّغوية العامة.

وقد ركزت مختلف الدراسات اللّغوية القديمة عنايتها بهذه الثنائية اللّغوية باعّتبارها من أصول الفكر ،ومظهرًا من مظاهر الثقافة الأصلية ،للأمة العربية ،وبحكم كوننا طلبة في تخصص الدراسات اللغوية نحاول إنجاز بحث في هذا المضمار وسميناه بـ: "علاقة اللّفظ بالمعنى عند البلاغيين القدامى".

وينبغي علينا بداية، أن نضع بين يدي القارئ تعريفًا لهذه الثّنائية ،"**اللّفظ**" هو أداة الإشارة إلى فكرة ذهنية مجردة أو الحامل المادي ،والمقابل الحسي المنطوق للمعنى ،والمعبر عنها ،وما أطلقه بعض اللّغويين الملفوظ به أو **اللّفظ المنطوق**،وهذا من أهم مميزاته ،أمّا مصطلح "**المعنى**"هو من أكثر التعريفات الّتي تختلف في تعريفها ،وهذا راجع لتنوّع أنظار الدارسين ،وتعدّد مجالات بحوثهم .ويقصد به مجموعة الخصائص التي تدرس بالتدرج ،ونجدها في إطار علم الدلالة ،حيث أطلق على المعنى (**المعنى الدلالي**)،**أي دلالة الشيء**.ذلك أنّه إذا كان من معاني اللّفظ ما يلفظ به من الكلمات أو يتكلم به.

ومن دلالات المعنى القصد، وما يدل عليه اللّفظ فإنّ عنايتنا مرتبطة بعلائق اللّفظ والمعنى ،ودرجات وعي أعلام البلاغة بمستويات هذه العلائق ومن هنا بات لزامًا علينا أن نطرح الإشكال الذي مفاده هو :

-هل هناك حقًا علاقة بين اللّفظ **والمعنى؟**

-هل يفكر الإنسان في شكل تصورات ذهنية أم من خلال صيغ لفظية؟

-ما أساس وضع الألفاظ للمعاني في لغتهم؟

-وكيف نظر البلاغيين لهذه القضية ،وما هي أهم جهودهم؟

ولعل هذه الأسئلة الجوهرية وأخرى سيجدها القارئ في متن هذا البحث هي التي شكلت صلب الإشكالية التي يدور حولها موضوع بحثنا ودعت بأن نعنونه بهذه الصياغة.

فجاء البحث إثر هذا **مؤطر** بخطة مضبوطة وممنهجة على النحو الآتي:

مقدمة ثم مدخل ، و فصلان ،كل فصل يحتّوي على مبحثين ،وختمنا بحثنا **بخاتمة.**

وبطبيعة الحال كان بدأنا بمقدمة عرضنا فيها ما تناولناه في بحثنا **ثم مدخل** وتناولنا فيه بالبحث عن مصطلح اللّغة من حيث مفهومها عند علماء اللّغة القدامى والمحدثين ،وتبيين أهمية اللّغة على الصعيدين الفردي والجماعي ،إذ هي وسيلة الإنسان في التعبير عن رغباته ،وهي واسطته في تطوير مواهبه ،وتنمية قدراته العقلية ،والوسيلة الوحيدة لنقل الثقافات من جيل إلى جيل.

وقد نوهنا بجهود علماء العرب في اللّغة ، وخصوصًا اللسانيين لأنّهم كان لهم الحظ الأكبر في هذه الدراسة.

أمّا الفصل الأوّل ضمّ مبحثين ، **فالمبحث الأول عنونه بـ**"تفضيل الألفاظ" وأتينا بذكر نموذجين ممّن كانوا أنصار اللّفظ وحده ،وهم :"الجاحظ وأبي هلال

العسكري"، وكيف دافع كل منهما على اللّفظ ،وعرضنا أهم حججهم ،وبراهينهم في ما أقروه عن اللّفظ.

كما كان المبحث الثاني :"الجمع بين اللّفظ والمعنى"، وعرضنا أنصار هذا الجمع وهم :"ابن قتيبة ،وقدامة بن جعفر"، حيث جمعا بين اللّفظ **والمعنى** واعتبروهما شيئًا واحدًا ،وكان لكل واحد منهما رأيه الخاص والذي كان في الأخير موحدًا ،وهو الجمع بين اللّفظ والمعناه.

ثمّ الفصل الثاني ، الذي جاء على شاكلة الفصل الأول ،فاحتوى مبحثين هو الآخر ،**فكان المبحث الأول معنون بـ**"**وحدة اللّفظ والمعنى**"، **ومن أنصاره** :"ابن رشيق القيرواني، وابن الأثير"، ولكل منهما مسلماته الخاصة به ،أما المبحث **الثاني كان** :"العلاقة بين اللفظ والمعنى"، **عند** "عبد القاهر الجرجاني"، **صاحب** نظرية النظم ،حيث عالج هو الآخر قضية اللّفظ ومعناه في إطار هذه النظرية. **ثم** خاتمة رصدنا فيها جملة من **الاستنتاجات**.

والبحث في مجمله كان موزعًا توزيعًا متّكامل الجوانب ،يشكل في النهاية لحمة واحدة ،وكما لا يخفى على أحد ،فإن أي بحث لا يخلو من صعوبات تعتّرض مسار صاحبه ،وما نحن إلا قطرة في بحر العلم، ساعين إلى **الارتقاء بأنفسنا** ،ومن الطبيعي أن تعترضنا هذه الصعوبات ،و أهمّها: جمع المادة المتناثرة هنا

وهناك ،وعدم توفر بعض الكتب ،وصعوبة الحصول عليها ،مما ادعت الحاجة إلى تحمّيلها من مواقع الأنتّرنيت ،والأصعب من هذا صعوبة تحميل هذه الكتب وكذا ضيق الوقت ،لتزامن البحوث ،كما زاد الطين بلّة عدم وجود مكتبة جامعيّة ،وهذا ما جعلنا ننتقل بين الجامعات الأخرى ،والمكتبات الخارجية للبحث عن الكتب.

أمّا النقطة التي أفاضت الكأس هي وجود أخطاء كثيرة وكبيرة في المعلومات التي جمعناها، وكذلك اختلافات بين بعضها البعض ومن بينها تواريخ ولادة ووفاة الأعلام الذين ذَكرنَاهُمْ في بحثنا هذا والتي لم تكن متقاربة حتى ، ورغم هذا فقد أخذنا المعروفة والمتدّاولة لدى الكتّاب المحدثين ،ثم أخطاء عظيمة لا يغتفر لها في القرآن الكريم وعدم توافقها مع المصحف الشريف ،وكان هذا كله نتيجة التأكد .

ولكن رغم كل هذه الصعوبات ، وبعون الله تعالى ،لم تمنعنا أو تحدّ من رغبتنا الجامحة في إنجاز هذه المذكرة ،وأنّ عزمنا في خوض رحلة هذا البحث ،كانت جد شاقة وصعبة ،ولكن بالرّغبة والإرادة تجاوزنا كل الصعوبات ، وما كنا لننجز هذا العمل لولا توفيق الله سبحانه وتعالى لنا، وما قدمه لنا الأستاذ المشرف من ترّغيب في الاجتهاد وتشجيع متواصل طوال هذا الإنجاز ،وإرشاده وحسن توّجيهه لنا فالفضل يعود إليه ،بعد فضل الله عز وجل علينا.

فكل الشكر للأستاذ الكريم "**عجل**"، والذي كان سببًا في تذليل صعوبات هذا **البحث** ، بكل اقتدار علمي وأخلاقي تستهد به أجيال من الطلبة ،فهو الرجل الذي **عرفناه أستاذًا** ،مشرفًا ،جادًا ،ولم يبخل علينا يومًا بتوجيهاته السّديدة ،فله كلّ **الشّكر ، والاحترام** كما لا ننسى الأساتذة المناقشين ،فنَـزُّفُ لهم شكرنا واحترامنا.

وفي الأخير ،نسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ،ومن الذين يُتْبعون أقوالهم أعمالاً صالحة مخلصة.

هـ:28شعبان-1439 م:14-ماي-2018

إن اللغة آية من آيات الله سبحانه وتعالى ،ومعجزة من معجزاته التي تدل على قدرته سبحانه ،حيث نجد في كتابه العزيز:" **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** "[1].

ولما كان للعربية من شرف المنزلة ،وعلو المكانة ،فلا غرو أن يقول قائل **بعد ذلك** :"والعربية خير اللغات والألسنة ،والإقبال على تفهمها من الديانة ،إذ هي **أداة العلم**، ومفتاح التفقه في الدين "[2].

كما قد شاع في اللغة العربية ،تلك الكلمات الثلاثية أو الرباعية الحروف ،وتكونت منها معظم كلمات اللغة العربية[3].

وقد انكب علماء العربية القدامى على اللغة العربية يجمعونها ويضعون قواعدها ويصفون أصواتها ونظامها ، وقضية اللغة التي بدت لأول وهلة متعدّدة المصادر والمدارس عربية كانت أو غربية ،حيث توالت المدارس النحوية

---

[1] **سورة الروم** ، الآية :21.
[2] فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ،تحقيق ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية ،بيروت،ط2،1420هـ -2000م ،ج1 ،**المقدمة**.
[3] **دلالة الألفاظ** ، إبراهيم أنيس ،ا مكتبة الأنجلو المصرية ،ط5: 1984 ،ص:33.

واللغوية في التمييز والظهور بين بصرية وكوفية وبغدادية،...**تلتقي تختلف** ،تطرح قضايا مازال علماء اللغة المجدون يعالجونها بعد مرور ألف عام.

ولقد ترتب على هذا التمييز النوعي أن تبوأت **اللّغة** مكانة لائقة تكفل لها **الاستجابة لحالة الاجتماع البشري إلى الاتصال** باعتبارها الوسيلة الأولى المحققة لهذه الغاية ، ورغم ما حظيت به اللّغة في التراث الإسلامي من مكانه وما شكله استقصاء البحث فيها من غنى إذ يكفي للتدليل على ذلك الإشارة إلى تراث **المعارف** التي عرفتها هذه الحضارة التي أسسها الاعتكاف على قراءة الظاهرة اللغوية قراءات كان محورها القرآن الكريم ،وقد تنزلت اللغة في هذا التراث **منزلة المعرف للكائن العاقل** ،"إذ أنه تواتر ،تحت تأثير يوناني لاشك. تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق)[1].حيث تعيش اللغة في هذه الحياة بوصفها عنصرا إنسانيا لا يمكن الإستغناء عنه ،على اعتبار أنها تلك الوسيلة التي يتمّ بها التخاطب والتواصل ،وتبادل الأفكار والخواطر ،فوجود الإنسان واستمرار الحياة مرهونان بها،وبها يتيسر العيش ،فلا يمكن تركها للعوائق التي تحيل دون استمرارها وتطوّرها لأن سبل العيش بدونها تضيق ،والحياة تتعقد إذ تسمح للإنسان بالتعامل مع العالم الخارجي من حوله ،،ليحقق غاياته ،مخالفا في ذلك بقية المخلوقات غير الناطقة التي لا يمكن أن ترقى إلى درجة الإنسان لأنها تفتقر أولا لهذه الوسيلة

[1] اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب،دراسة ،د:الأخضر جمعي من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق :2001 ،ص:14

التي فضله الخالق بها ،وهذا لقوله تعالى:" **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**"[1].

فلهذه الأسباب وغيرها كانت محل اهتمام الإنسان بها ،فقد درسها الهنود والإغريق **والرومان**...،بحثوا في فلسفتها ،وفي سبل إتقانها ،وفي طريقة حفظها من التلف فقد يعيش المرء حياته كاملة دون أن يتعلم القراءة والكتابة ،**ولكن الأمر مختلف بالنسبة للغة**، فبدونها لا يستطيع التفكير أو التعبير عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته كما لا يمكنه التواصل مع الآخرين ،فاللّغة باعتبارها أداة تواصلية فهي تقوم إذن على مجموعة من العوامل أهمّــها:العوامل الاجتماعية والنفسية **والثقــ**افية ،حيث تكون هناك علاقة ترفض الفرد بمجتمعه.

فقد جاءت اللغة في المعاجم العربية ،وما يقابلها من ترجمته ب"language "فهي كل وسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر، **كالإشارات والأصوات والألفاظ**، وهي

[1] سورة الإسراء ،الآية 70.

ضربان: طبيعية حركات الجسم والأصوات المهملة، ووضعية وهي مجموعة **رموز أو** إشارات ألفاظ متفق عليها الأداء ،المشاعر والأفكار[1]

حيث نجد هناك اختلاف بين هذه المعاجم ،بين اللغات ،فعند البعض **الآخر** نجدها "langage" "،فهي مجموعة الأصوات الإنسانية المعبرة ،أما في علم النفس مجموعة الإشارات الصوتية أو غيرها التي يعبر بها عن الفكر[2]**كما تعتبر** اللهجة "Dialecte "[3]

طريقة من طرق الأداء في لغة محصورة في قبيلة معينة ،ولا نتعداها إلى غيرها ،لكل قبيلة لهجتها وطريقتها في الحديث .أما اللغة هي مجموعة اللهجات التي توحدت في لغة واحدة ،تجمعها صفات واحدة قد تهذبت ألفاظها ،وتطورت أساليبها وطرق كتابة حروفها وكلماتها ،فاللغة العربية ليست فقط لهجة قريش بل هي اللغة المشتركة بين جميع القبائل العربية[4]

إذن ،اللغة لهجة أو مجموعة اللهجات مكونة أو مجموعة لتعطينا لغة أمة معينة.

[1] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة ،مكتبة لبنان ،ساحة رياض الصلح ،بيروت،ط2 ،1984،ص:104.
[2] معجم المصطلحات الفلسفية لـ عبده الحلو فرنسي-عربي ،المركز التربوي للبحوث والإنماء ،لبنان ،ص:204.
[3] اللفظ والمعنى لأخضر جمعي ،ص:200.
المرجع نفسه،ص:200 ،وينظر كذلك مفاهيم لسانية دي سوسيرية ،محاضرات في اللسانيات العامة جامعة تلمسان –دار الغرب للنشر والتوزيع
[4] ص:02.

ويعتبر اللسان "Langue "،وهو مرادف للغة الوضعية المشتملة على الألفاظ والقواعد المصطلح عليها ،فاللسان ظاهرة اجتماعية تختلف باختلاف العصور والبيئات [1]

فقد اختلف البعض في تسمية اللّسانيات ،فقد اعتبرها البعض :**علم اللسان** والبعض الآخر علم اللغة ،أو اللغويات ،فاللسانيات أيا كان التعبير المستخدم في وصفها هي: الدراسة العلمية للغة ،من حيث هي لغة ،حيث كانت من قبل تعتبر الفيلولوجيا "Philology "،الذي ترجمه بعضهم إلى فقه اللّغة ،**فقد درس العالم اللساني "دي سوسير"(ت:1912)اللّغة واللّسان أما اللّغة** فكانت معينة ، **مثل: اللغة** العربية أو الفرنسية ،وموضوع اللسانيات هو **اللّغة** المعينة بالذات ،فهي وحدها ذات بناء ونظام ثابت يتكون من مستويات مترابطة ترابطا يحول دون استغلال أحدها عن الآخر[2]

وبالتالي نستطيع أن نجمل بعض المصطلحات التي ظهرت في علم اللغة التي استخدمها علماء اللغة العرب ،والتي أوردها د:**عبد السلام المسدي في قاموس** اللسانيات :اللانغويستيك ،علم اللغة ،فقه اللغة ،علم اللغات ،علوم اللغات ،اللغويات ،علم اللسان ،الألسنية ...**إلخ ونلاحظ أن مصطلح علم اللغة قد انتشر**

[1]معجم المصطلحات الفلسفية ا عبده الحلو،ص:95.
[2]في اللسانيات ونحو النص ،د:إبراهيم خليل،ط1 ،1427هـ ،2007 ،ص:17.

في مصر انتشارا كبيرا في كليات الآداب والتربية ،وانتشر مصطلح اللغويات في كليات جامعة الأزهر ،أما الألسنية انتشر في لبنان واللسانيات في دول المغرب وهذا يدل على اختلاف المصطلح باختلاف الترجمة ،فهو " Linguistics ,linguistique,dialectologie "[1]

إذن اختلفت التسميات والمعنى واحد ،فقد شهد هذا العلم ازدهار واسع خلال هذه الفترة.

ليست اللسانيات هي الوحيدة التي اهتمت بدراسة اللغة، بل هناك علوم أخرى وهي: اللسانيات والأنثروبولوجيا (علاقة تاريخية واجتماعية)،اللسانيات والفلسفة(قضايا المعنى)،اللسانيات وعلم النفس(خصائص اللغة الإنسانية)[2].

فقد كانت الإنطلاقة على يد "دي سوسير"*(ت:1912)،منتهجا ثنائيات كان من بينها :اللغة وكان هذا من خلال كتابه:"دروس في اللسانيات العامة"1916م ،على يد تلامذته "شارل بالي" و "ألبير سيشهاي"،فيرى أن اللغة نظام من الرموز يدور أساسا حول الربط بين رمزين سيكولوجيين يعني المعاني وصورها الصوتية[3].

---

[1] في علم اللغة الحديث ،ورأي علم اللغة الحديث ،د:شريف الدين الراجحي ،دار المعرفة الجامعية ،جامعة الإسكندرية ،ص:21،22

[2] في اللسانيات العربية ،د:صلاح الدين صالح حسين ،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 1432هـ -2011م ،ص29.

[3] ينظر :دي سوسير ،دروس في اللسانيات العامة ،ص24،نقلا عن :اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ،د:نادية رمضان النجار،مراجعة وتقديم د:عبده الراجحي،ص:15-16 ،وكذلك :مدخل إلى علم اللغة -المجالات والاتجاهات- د:محمود فهمي حجازي،ط4 ،2006م ،ص :16.

*دي سوسير:ولد في جنييف 26 نوفمبر 1857م ،عالم لغويات سويسري ،يعتبر الأب والمؤسس لمدرسة البنيوية في اللسانيات في القرن 20،وهو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث ،توفي 22فبراير 1912م ،

ينظر:المدرسة اللسانية المعاصرة :د:بوقرة نعمان ،مكتبة الآداب 2004م،ص:73.إشكالية اللفظ والمعنى عند اللغويين القدامى والمحدثين إعداد ،بلخيرة زينب ،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ،جامعة سعيدة ،د:مولاي الطاهر ،2014-2015 ،ص:40.

فاللّغة عنده ظلم من العلامات التي تتكون من صور صوتية "sound-image" ومفهوم "concept"مرتبط بها ارتباطا وثيقا والعلامة "Signe"**أو "الرمز"**، علاقة ترابطية بين المفهوم والصورة الصوتية [1].

كما اصطنع (ثالوثـــا) خاصا به يتضمن تصورات ثلاثة متكاملة .

يعبر بها عن هذه المصطلحات :"le langage "وهي اللغة في أوسع معانيها أي باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة، **و**"*la langue* " فهي اللغة المعينة – العربية أو الفرنسية -**؛أما** :"*la parole* "فهو الكلام ويعني به إظهار الفرد للغة عن طريق الأصوات الملفوظة ،أو عن طريق العلامات المكتوبة فهو فردي [2].

"فسوسير" لا يقر بحرية اللغة ،ولا يكفي في نظره أن **نجتزي بالقول** :(إنّها نتاج للقوى الاجتماعية ،بل ينبغي أن نزيد على ذلك أن هذه القوى تعمل بفعل الزمن وتبعا له ،متذكرين أنها دائما إرث لهم سابق)[3]

---

[1] ينظر :**علم اللغة العام**،د:عبد الصبور شاهين ،ص:197 ،وعلم اللغة بين التراث والماضي،د:**عطاف مذكور** ،ص:29 ،**نقلا عن : علم اللغة عند** العرب و رأي علم اللغة الحديث ،د:شرف الدين الراجحي ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،ص:10-11.

[2] **فصول في علم اللغة العام** ،د:عبد الكريم الرديني ،دار الهدى للنشر والتوزيع ،عين مليلة –**الجزائر** ط:2009 ،ص:256-257.

[3] محاضرات في الألسنية العامة ،"دي سوسير "،ص:96 –**نقلا عن** : رحاب اللغة العربية ،د:عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية ،تلمسان ،الجزائر،ط2 ،ص37.

ذاهبا أن تضامن أصحاب اللغة مع الماضي يجعل حرية الاختيار تخفف باستمرار ،ويقول :"ومن يزعم تأليف لغة ثانية يأخذ خلقه بها، فإنما يشبه الدجاجة **التي ترخِم** على بيضة بطة فاللغة التي يخلقها ستذهب طوعا أم كرها بالتيار الذي يجرف اللغات كافة)[1].

كما نجده يشبهها كذلك –**اللغة**- بالمسمفونية إلى واقعها مستقل عن طريق عزفها حتى إن الأخطاء التي قد يرتكبها **العازفون لا تؤثر** أبدا في هذا الواقع ،إذ ما أكثر التبدلات الصوتية **والانحرافات** والفوارق التي يحدثها المتكلمون في لغة،**وما أكثر الأخطاء**،...ولكن اللّغة تظل لغة والكلام يظل كلاما وما هذا إلاّ دليل على وجود **اللّغة في جانب مستقل عن جانب** الظواهر التي تحدث فيها[2].

فنلاحظ أن دي سوسير يعطي أدلة وحجج عن رأيه حول اللغة ،وأنّها كالسمفونية وأن أي خطأ من طرف العازفون لن يؤثر ،فنحن نخطأ كثيرًا ولا يُغير هذا شيئًا –حسب رأي سوسير-.

ويرى من الصعب أن نجد دليلاً ملموسًا نفرق على أساسه **الاختلاف** بين اللّغة و اللّهجة ،فيقول :"**وغالبًا** ما نسمي لهجة ما لغة بفعل إنتاجها أدبًا ،وهذه هي حال

[1] المرجع السابق ،ص:37.
[2] مفاهيم لسانية ،دي سوسيرية،ومحاضرات في اللسانيات العامة ،ص:09.

البرتغالية ،والهولندية، ومسألة القدرة على الفهم تلعب دورًا في ذلك أيضا ،كقولنا عن أشخاص لا تفاهم بينهم ،إنّهم يتكلمون لغات مختلفة"[1].

كما نجده ختم دروسه بجملة أصبحت دستورًا مقدسًا للسانيات ،تقول :"عن هدف الألسنية المنفرد والحقيقي إنّما هي اللّغة منظورًا إليها في ذاتها ولذاتها"[2].

فمن خلال التعريفات السابقة عند علماء اللغة في العصر الحديث ،نلاحظ أن "سوسيـر" يتحدث عن اللغة وطبيعتها ويفرق بين ثلاثة مصطلحات أساسية عنده هي: اللغة واللسان والكلام ،زد على هذا فاللغة عنده صورة صوتية ومعنى هذه الصورة تربطهما العلامة أو الرمز ،وهي علاقة ترابطية.

إذن هي اللغة وسيلة الإنسان للتعبير عن رغباته وأفكاره وأحاسيسه ،وهي واسطته في تطوير مواهبه ،وتنمية عقله ،وهي الوسيلة الأساسية لنقل الثقافات والحضارات من جيل إلى جيل ،ومن أمة إلى أمة أخرى.

أما "هيلمسليف"(1899-1965م)قسّم اللغة إلى مادة وشكل [3] .

---

[1] مفاهيم لسانية دي سوسيرية ،المرجع نفسه ،ص:66.

[2] المرجع نفسه ،ص:93.

[3] اللسانيات –النشأة والتطور-،أحمد مومن ،ص:161.

* "Louis Hjelmslev " مؤسس مدرسة كوبنهاجن ،دنماركي الأصل ،صاحب النظرية البنوية التحليلية الشهيرة الرياضيات اللغوية "Glossematics" ولقد كان لوالده الذي شغل منصب أستاذ الرياضيات وتقلد رئاسة جامعة كوبنهاجن ،أثر عظيم على نبوغه في مجال اللسانيات ،تعرف على "فندريس ودي سوسير"،ألف أول مؤلف هو"مقدمة في نظرية اللغة على اللسانيات"-النشأة والتطور ،أحمد مومن ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط:5 ،ص:157-158

أمّا الشكل فله مستويان أحدهما :خاص بالتعبير ،وعنده الفونيم، والثاني منهما :خاص بالمضمون وهو عنده الأجزاء التي يتكون منها المعنى ،فموضوع اللّغة عنده الشكل وليس المادة ،فقد حافظ على ما جاء به **"دي سوسير"** من مفاهيم ،ثم غير المصطلح ،مثال :**كلمة "ثلج"**، المادة في هذا المثال هي :**مجموعة أصوات** :**"ث ل ج"**، **أما الشكل**: العلاقة بين الأصوات والمعنى ،ونعني بهذا **"الدال والمدلول"**، فاللغة عنده شكل أي لفظ ومعنى هذا اللفظ.[1]

كما نجد اللغة عند"جون روبرت فيرت"* (1890-1960) **ترتبط إرتباطا** وثيقا عضويا بالمحيط الاجتماعي ،وأدى التعمق في دراسة البعد الاجتماعي **للإتصال اللغوي إلى ظ**هور حقل خاص باللسانيات يسمى علم اللغة الاجتماعي "socio-linguistics "فاللغة هنا تقوم على أساس اجتماعي –حسبه-في حين أن استعمال هذه اللغة يتم على أساس فردي ،فاللغة كما يعبر أحد الدارسين :**"مرآة** الشعب، ومستودع تراثه ،وديوان أدبه ،وسجل مطامحه وأحلامه ،ومفتاح أفكاره وعواطفه وهي فوق هذا وذلك ،رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقديمه ،وخزانة عاداته وتقاليده"،**أما** "ليونارد بلومفيلد"*(1887 -1949)**نادى بفكرة** علمية اللغة واستقلالها مثله مثل "دي سوسير" **الذي رفض إقتران اللغة بعلوم**

[1]* J.R.Firth ،**ولـد** بـ:بيوركشير ،درس التاريـــخ في الهند ،واللغة الإنجليزية بجامعة البنجاب، ثم جامعة لندن، تأثر بالأنثروبولـــوجـــيا ، المرجع نفسه ،ص172-174 .

* "Bloomfield ولد في شيكاغو درس في هارفرد ،تحصل على الدكتوراه في 1909 ،هاجر إلى أوروبا درس الفيلولوجيا الجرمانية ،ودرس اللغة الهندية الأمريكية الألغونفوية ،له كتب منها:"مدخل إلى دراسة اللغة ،اللسانيات،النشأة والتطور ،د:**أحمد مومن**،ص:192-193

أخرى ،فقد عرّف "بلومفيلد" اللغة على أنها :"منطوق ناتج عن منبه أو مثير يؤدي إلى استجابة منطوقة ،أو غير منطوقة ،يكون المنطوق الأول منبها أو مثيرا لها ،ولتوضيح ذلك يذكر لنا ،مثل :"جاك وجيل والتفاحة" وخلاصة هذا :أن "جيل" تشعر بالجوع ،وعندما ترى شجرة التفاح ،فالتفاح يمثل الإحساس بالجوع منبها أو مثيرا ،فتندرج إلى الكلام طالبة من "جاك" أن يأتيها بالتفاحة والآن يتحول كلام "جيل" إلى منبه بالنسبة "لجاك" ،ومثير، فيبادر إما إلى الكلام قائلا: إنه سوف يحضر التفاحة ،أو الاكتفاء بتنفيذ المطلوب [1] .

فاللغة حسبه سلوك فيزيولوجي يتسبب في حدوثه مثير معين. [2]

فنجد رأي بلومفيلد مغاير تماما لآراء اللغوين السابقين، فقد عد اللغة ضربا من تكوين العادات ،فالناس بموجب هذا الرأي يتعرضون في بيئتهم للكثير من المثيرات ،وما يبدونه لتلك المثيرات يخضع للتعزيز لاحقا ،إذ كانت الاستجابة ناجحة أي عندما يؤدي المثير إلى استجابات مرغوبة،ومع تكرار التعزيزات"Renforcement " ستؤدي بعض الإستجابات إلى ظهور نفس

[1] فصول في علم اللغة العام ،الرديني، المرجع السابق ،ص:15.

[2] اللسانيات ونحو النص:د:إبراهيم خليل ،المرجع السابق،ص:33 وكذلك اهتمامات علم الدلالة- في النظرية والتطبيق- د: ميشال عازار مخايل ،المؤسسة الحديثة للكتاب لبنان ،ط 1 ،2012 وكذلك اللغة وأنظمتها ، لـ عبده الراجحي ،ص:17.

الإستجابة فتتحول إلى عادة ،وعلى الرغم مما أشرنا إليه في بدأ حديثنا **من أن اللغة عبارة عن(رموز منطوقة)**أو أنها كما عرّفها بعض العلماء **"عبارة عن** أصوات يعبر بهل كل قوم عن أغراضهم **"**[1]

فإن اللغة بمفهومها العام مدلولا أوسع من ذلك ،فهي وسيلة للتفاهم والتواصل والتعبير عن العواطف عامة لا يحدد مدلولها بالكلمات التي تصطلح على معانيها أو دلالاتها أمة من الأمم ،إذ أنها في الحقيقة تشتمل على كل ما يمكن أن يعبر به **الإنسان عن فكرة أو افعل أو موقف،**أو رغبة معينة ،**فالصوت لغة والأشكال** المرسومة لغة ،والأجسام والحركات لغة ،والإشارات البصرية والسّمعية لغة.

إذن،لا تقتصر اللغة على صورتها المتكلمة فقط ،و إنما تحوي إلى جانب ذلك الإشارات والإيماءات ،وتعبيرات الوجه والرموز من أي نوع، مثل:**إشارات المرور، والأسهم** وحتى الصور والرسوم وكذلك دقات الطبول الخاصة في أدغال إفريقيا ،وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الهنود الأمريكيون[2] .

[1] اللسانيات ،النشأة والتطور –**أحمد مومن**،ص:195.
[2] **فصول في علم اللغة العام** ،د:الرديني ،ص:95-96.

" وأن اللّغة أساسية جدا وعميقة الأثر في كل سلوك إنساني فردا أو جماعة، حتى تغيرات كهذه التي تخلق ثروة لغوية ،لابد أن تخلق ضغطا ،واختلافات في الفكر والإحساس والعمل"[1].

كما نجد تشومسكي Chomsky (1928) ،رأي آخر في اللغة حيث كانت له دراسات عن اللغة ،ومتحصل على الدكتوراه في اللغة ،حيث قسم اللغة إلى (كفاءة وأداء)[2].

فالإنسان في حدود طفولته المبكرة يكتسب مجموعة محدودة العدد من القواعد...،لكن،أداءه بتلك اللغة يمكن أن لا يكون بالقدرة ذاتها من المعرفة بالقواعد...،وعليه فإن الناس المتساوين في المعرفة باللغة يختلفون دون ريب في أدائهم اختلافا بيّنًا تؤثر فيه العوامل النفسية والشخصية للإتصال اللغوي[3] .

فهو يرى أن الطفل يولد مزودا طبيعيا بقدرة فطرية على تعلم أيّ لغة من اللغات وتقوم هذه القدرة على معرفة مسبقة بالقواعد العامة، فاللّغة عنده ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لتكوين وفهم جمل نحوية [4].

---

[1] المرجع نفسه ،ص 191.

1- الكفاءة competence: تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد ،أي مجموعة القواعد التي تعلمها ،والأداء: الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية, فإن اللغة هذه الأقوال الفعلية التي هي جزء من أدائه لا تكون إلا جزءا من الدليل على كفاءته

أداء: performance.اللسانيات –النشأة والتطور-أحمد مومن ،المرجع السابق ،ص:211-212.

[3] اللسانيات ونحو النص ،إبراهيم خليل ،ص:35 -36.

[4] علم اللغة عند العرب ،المرجع نفسه ،ص :12 ، ينظر:اللغة وأنظمتها ،عبده الراجحي ،ص:19-20.مدخل إلى علم اللغة ،المجالات والاتجاهات ،محمود فهمي حجازي نط4، 2006 ،ص:17.

*"نعوم تشومسكي":أمريكي ،لساني،روسي الأصل ،ولد في فيلادلفيا بأمريكا ،7ديسمبر1928 ،درس الفلسفة والرياضيات واللسانيات ،حصل

إذن ،نستطيع أن نقول أن اللغة عند"**تشومسكي**" في شقها التواصلي مجموعة من الأفكار والمشاعر تصدر عن متحدث أو كاتب ،وأن التعبير عنها لابد له من سياقات ،تتطلب من المرسل انتقاءً جيدًا لمفردات تساق في جمل ،هدفها إبلاغ رسالة ذات مفهوم لها، **ارتبطا** وثيق بهذا السياق الذي هو حجر الزاوية في عملية التواصل ،شأنه في ذلك ،لا يقل أهمية عن اللغة التي هي النظام المرتب لهذا السياق ،حيث تجتمع هذه اللغة على توصيل الأفكار والمشاعر من خلال نظام من **الرموز** يختاره المجتمع ،ونلاحظ أنه لم يذكر أي شيء عن الوظيفة التواصلية **للغة، ولا عن الطبيعة** الرمزية لعناصرها ،لكنه شدّد على خصائصها البنوية وإمكانية دراستها من وجهة رياضية محضة[1].

فاللغة ليست غاية في ذاتها وإنما هي أداة يتواصل بها أفراد مجتمع معيّن ,لتستقيم علاقاتهم ،وتسير أمور حياتهم ،ولهذا كانت معرفة اللغة أو تعلمها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية التي تستقر وتستقيم بها حياة الفرد ،ولا يختلف تصور اللغويين المحدثين عن تصور اللغويين القدامى بصدد تعريف اللغة ،فللعلماء في تعريفها آراء منها:[2]

على الماجستر في علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة،1955،تتلمذ على يد هاريس ،تأثر بجاكبسون –اللسانيات ،النشأة والتطور ،ص:204.

[1] اللسانيات ،النشأة والتطور ،أحمد مومن ،ص :04 –**توطئة**.

[2] **فصول في علم اللغة العام** ،الرديني ،ص:12.

هنري سويت:" Henry Sweet "(1845-1912)**فاللغة عنده** :"التعبير عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤلفة من الكلمات "[1]**،أي أن اللغة** كلامية غير رمزية أو اجتماعية وتواصلية كما اعتبرها البعض الآخرون.

وذهب "إدوارد سابير"(E.Saper)(1884-1939 م)**إلى أن** :"اللغة وسيلة إنسانية خالصة ،وغير غريزية إطلاقا ،لتوصيل الأفكار والإنفعالات ،والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية "[2]

فهي نظام بشري محض لتبليغ الأفكار بوساطة رموز (symbols) **مستحدثة** بطريقة إرادية [3].

فهو أول من فطن إلى أن اللغة أداة اجتماعية ،غايتها التواصل بين أفراد المجتمع فاللغة تقوم على أساس اجتماعي في حين أن استعمال هذه اللغة يتم على **أساس فردي**.أما الإنجليزي *"**برتراند رسل**": فاللغة حسبه:" وظيفتان رئيسيتان:

---

[1] **دور الكلمة في اللغة**،لـ ستفين أولمان ،ترجمة د:**كمال بشر** ،ص:12 .**نقلا عن :فصول في علم اللغة العلم** ،الرديني،ص :13.

* سابير :**ولد في** 26 يناير 1884 ،درس الفيلولوجيا ،ثم درس اللغة الهندية الأمريكية كان له كتاب واحد هو (**اللغة**)**في** 1921-اللسانيات –**النشأة والتطور** ،**أحمد مومن** ،ص :190.ينظر:**اللغة** وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ،عبده الراجحي ،ص:16-17.اللغة والمجتمع ،رأي ومنهج : د:**محمود السعران** ،ص:11،**نقلا عن:فصول في علم اللغة** ،ص:13.

[2] المرجع نفسه ،ص:13.

[3] اللسانيات ،النشأة والتطور ،أحمد مومن ،ص :04 –ينظر:
Ed.saper ,language ,Harcourt Brace ,1921 .p :8.

التعبير والتواصل"، أي أن التعبير عن الأفكار وما إليها وتوصيل هذه الأفكار إلى الآخرين[1]

ويؤكد اللغوي الإنجليزي *"**جاردنر** "(Gardner)*،"ومالينوفسكي" **العنصر** الاجتماعي للغة ،وأنها الوسيلة لتنفيذ الأعمال وقضاء حاجات الإنسان فيقول هذا الأخير ،بهذا الصدد :"إن وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل ،بل وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم.

هي جزء من السّلوك الإنساني ،إنها ضرب من عمل ،وليست أداة عاكسة للفكر واستعمال اللغة على هذه الصورة ليست قاصرا على الجماعات البدائية ،بل إنه ليلاحظه في أرقى الجماعات تمدّنًا"[2].

ذهب بعض المحدثين إلى أن اللغة نشاط مكتسب يتم بوساطة تبادل العواطف والأفكار بين أفراد جماعة إنسانية معينة وهذا **النشاط عبارة عن مجموعة من** الأصوات،تستعمل وفق نظم معينة[3].

لقد واكبت اللغة وجود الإنسان ، نشأة بنشأته ،ويقدّر عمرها بعمره ،غير أن الإشتغال بها والذي بدأ بالرغبة في تدوينها لتخلد وتتناقلها الأجيال لم يتم إلا منذ

---

[1] دور الكلمة في اللغة ،أولمان ،ص:12 ،نقلا عن: فصول في علم اللغة العلم ،ص:13.

*برتراند رسل:18 مايو 1872م وتوفي في :02 فبراير :1970م ،إنجليزي الأصل.

**جاردنر:ولد في 11 مايو 1943 ،وهو على قيد الحياة

**برونيسلومالينوسكي:بولندي ،أنثروبولوجي عمل أستاذا بمدرسة العلوم الاقتصادية ،بلندن في 1927م

اللسانيات ،النشأة والتطور ،أحمد مومن ،ص:177.

[2] اللغة والمجتمع ،محمود السعران،ص:16-17 ،نقلا عن:فصول في علم اللغة العام الرديني ،ص:13.

[3] محاضرات في اللّغة :د:عبد الرحمان محمد أيوب ،ص:01-23،نقلا عن :فصول في علم اللغة العام، الرديني ،ص:15.

وقت حديث. وذلك حين فكر ذلك الإنسان في ابتداع رموز لكاتبها بأرض الرافدين منذ خمسة آلاف سنة، وقد كانت الكتابة أول مظاهر عناية الإنسان باللغة واشتغاله بها، كما كانت الكتابة مصاحبة لرقيّه بعد أن قطع أشواطا بعيدة في مجال الحضارة[1].

منذ أواخر القرن التاسع عشر أخذ مفهوم (اللغة)-طبيعتها ووظيفتها ودراستها- في التغيير ،وقد أحدث ذلك التغيير جهودا متلاحقة بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم وصفا وتأريخا ومقارنة ،وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامة في اللغة تكشف عن حقيقتها نشأة وتطورا وتبرز القوانين أو الأصول العامة التي تشترك فيها لغات البشر وتعين على تحديد مناهج الدراسة اللغوية وتدقيقها ووسائلها[2].

والعرب –مثل سائر الأمم-اهتموا بها منذ عهد مبكر ،فألفوا ما يصونها من الإنحراف والضياع ،وكان وضع النحو دليلا على اهتمامهم بها، وغيرتهم عليها ومن أهم أسباب العناية بها خدمة القرآن الكريم ،وحفظه من التحريف ،وأيضا فهم تعاليمه ثم تصحيح ما انحرف من الألسنة بعد أن اشتهرت العربية في الأصقاع البعيدة عن مواطنها .فممارسة اللغة وظيفة بيولوجية يتعامل مع غيره بها شريطة أن تكون هذه الوظيفة مؤسسة على قواعد تشكل عرفا بين من يمارسونها داخل

[1] فصول في علم اللغة العام ،الرديني ،ص:07.
[2] المرجع السابق،ص:11.

المجتمع الواحد، ومن خالف هذه القواعد صار لاحنا، لذا فإن وظيفة الباحث تتمحور حول رصد التلفظات اللغوية الصادرة عن أفراد المجتمع لوصف الظاهرة اللغوية العربية، إذا نصبت الجهود في هذا الصدد حول وضع أسس مانعة من اللاحن ، ثم محاولة فهمها هذا الفهم الذي أسس لعلوم اللغة العربية فيما بعد .

قال أحد العرب أن البحث في اللغة وطرق دراستها جد قديم ،ونحن العرب أصحاب تراث قديم في هذا المجال يرجع أكثر من ألف عام ،فأقدم مؤلف لغوي وصل إلينا ،ومعجم "العين للخليل بن أحمد "(ت:175 هـ)وأقدم كتاب هو "كتاب سيبويه"(ت:180 هـ)،ومنذ ذلك التاريخ ،وحتى اليوم لم تتفق حركة التأليف في اللغة ودراستها ،ولاشك أن هذا الماضي العريق يلتقي على عاتقها تبعات لا مناص من مواجهتها وهي تتمثل في أمرين:

الأول هو دراسة هذا التراث اللغوي دراسة عملية ،لإبراز دور اللغويين العرب القدماء في تاريخ الدراسة ،وللاستئناس لما يصلح من الأصول اللغوية التي وضعوها أصول لعلم اللغة العربي الحديث .**أما الثاني**: فهو معرفة علمية وعملية مناهج علم اللغة في الغرب ،حيث نشطت الدراسات اللغوية في أوربا وأمريكا منذ

نصف قرن .وأصبحت علما مستقلا له وسائله ومناهجه المستقلة ،والتي ينفرد بالكتابة فيها مجموعة كبيرة من العلماء يصدرون مئات الكتب[1].

لقد اختلف الباحثون في تعريف اللغة، وتحديد مفهومها وللوقوف على تعريف يمكن أن يوفق بين أغلب هذه الآراء ويحدد طبيعة اللغة في إطار مقبول ويعكس حقيقة وظيفتها وأبعادها ،وعناصرها ،ونذكر :"ابن جني"(ت:392هـ) فاللغة معروفة عنده بقوله :"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2]،وهو بهذا التعريف لا يبعد كثيرا عن أحدث التعريفات فضلا عن أنه تضمن عناصر أساسية في اللغة ،فهي :أ)صوتية اللغة ،ب)اجتماعية ،ج)وظيفة اللغة ،فالعنصر الأول يقصد به اللغة المنطوقة ذات الجرس المسموع المسمى بالكلام ،أما الثاني: فهي أن المعبرين بها قوم من الأقوام وجماعة من الجماعات ،وهو ما نعبر عنه اليوم بمجتمع من المجتمعات ،والثالث: يشير إلى ما تعارف عليه القوم سلفا فهو نظام معين ذي دلالة معينة على أفكار معينة [3].فابن جني"اعتبر للغة حد هو أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ،ثم قال:وأما تصريفها فهي "فُعلة" من "لَغَوْتُ" أي تكلمت وأصلها :لُغَوَ، كَكُرَة ،وقُلَة ،وُتبَة،كلها لاماتها وواواتها[4].

---

[1] المعنى والدلالة في البلاغة العربية، دراسة تحليلية لعلم البيان ،د: محمد جاسم جبارة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ط1-2013م، ص:39-42.

[2] الخصائص :ابن جني ،ت:علي محمد النجار ط1 /33 ،نقلا عن:فصول في علم اللغة العام الرديني ،ص:09 .وكذلك :اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ،د:نادية رمضان النجار،مراجعة د:عبده الراجحي،ص:9-10 ومدخل إلى علم اللغة –المجالات والاتجاهات-د:فهمي محمود حجازي ، ص:14.

[3] فصول في علم اللغة العام ،الرديني ،ص:09 .

[4] المزهر في علوم اللغة للسيوطي ،العلامة عبد الرحمان جلال الدين،شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وأخرون ،مكتبة دار التراث ،القاهرة

فحد اللغة كل لفظ وضع لمعنى [1]،ومن هنا نفهم أن اللغة حسبه هي تعبير كل جماعة عن أغراضهم ،و أنها اجتماعية بالدرجة الأولى ؛لا تظهر إلا عند وجود جماعة كما نفهم أيضا أنها أصوات ،ونلاحظ أن "ابن جني" أخرج الكتابة من هذا التعريف وقصر اللغة على الأصوات وهذا دليل على أن علماء العربية لم يكونوا يدرسونها باعتبارها لغة (مكتوبة)شأن علماء فقه اللغة ،وإنما درسوها باعتبارها لغة (منطوقة)قائمة على الأصوات،شأن أصحاب علم اللغة[2].

وتعريف "ابن جني" السالف الذكر يشمل اللغة على مختلف مستويات استخدامها ،فهو ينطبق على القوم بمفهومه الضيق كأبناء البيئة أو القبيلة الواحدة ،أو أصحاب الحرفة الواحدة من باب أن لكل قوم لغتهم وأصواتهم المعبرة عن أغراضهم ،وينطبق أيضا على القوم بمفهومه الواسع الذي يشمل أبناء الجماعة اللغوية الواحدة بمختلف قبائلهم أو بيئاتهم أو حرفهم ومهنهم ومستوياتهم الاجتماعية ،واللهجات بمختلف أنواعها جغرافية محلية،واجتماعية من جهة أخرى ،ويرى "ابن جني" من هذه الزاوية ،مادة اللغة ووظيفها فهي دال "اللفظ بأصواته وجرسه " ،ومدلول" المعنى ،والفكرة"[3].فنلاحظه قد ربط بين اللغة

ط3،ص:07.

[1] المرجع نفسه ،ص:08.

[2] فقه اللغة في الكتب العربية ،عبده الراجحي ،ص:60 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ،عاطف مذكور ،ص:23 ،نقلا عن:علم اللغة عند العرب(شرف الدين الراجحي)،ص:09.

[3] وصول في علم اللغة العام الرديني،المرجع السابق،ص:11.

والمجتمع ربطا وثيقا[1] ،ومن هنا نرى الدور الذي تقوم به اللغة في حياة المجتمع الإنساني ،وتنظيم الصلة بين أفراده[2] .

أما "ابن خلدون(322هـ-392 هـ)،فقد جاء في كتابه "**اكتساب اللغة عند ابن خلدون"علم** 1377 ،**ومقدمة "ابن خلدون"**عن اللغة ،بقوله :"...هي عبارة المتكلم عم مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ،فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ،وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة **الحاصلة** للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور ،**أعني المضاف، ومثل الحروف** التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى ،وليس يوجد إلا لغة **العرب"**[3] ،**إذن فقد عرّف "ابن خلدون"** اللغة بأنها **عبارة المتكلم عن مقصوده** ،ولتحديد تلك العبارة ونوعها يذكر أنها فعل لساني ،وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[4].

ويقول أيضا هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية ،وذلك لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسمّات عند أهل النحو بالإعراب ،واستنبطت القوانين

[1] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس،المرجع السابق ،ص:26.
[2] المرجع نفسه ،ص:55.
[3] مقدمة ابن خلدون ،ص :546 ،نقلا عن :فصول في علم اللغة العام ،الرديني ،ص :11 ، ينظر كذلك: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين ،عبده الراجحي ،ص:13.

[4] المرجع نفسه ،ص:11.

لحفظها لما قلناه ،ثم استمرار ذلك الفساد إلى موضوعات الألفاظ ،فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم مَيْلاً مع هجنة المتعّربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدروس،وما ينشأ الجهل بالقرآن والحديث ،فستمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين ،وكان سابق الحلبة ،"الخليل بن أحمد"في كتاب العين[1].

كما نجده قد استخدم مصطلح (علم اللغة)وكان يعني به أنه يشمل علم المعاجم على اختلاف أنواعها سواء أكانت متصلة بجميع الألفاظ اللغوية عامة أم بجمع ألفاظ المندرجة تحت موضوع واحد ،أو متصلة بالمترادف والدخيل والمشترك.

إذن ،تمثل اللغة حسب هذا التحديد المادة الخام التي تستغل في كل تركيب دال. وتنتهي أن اللغة تخضع لنظام خاص في تركيبها من الحروف الهجائية[2] ويظهر أننا لسنا في حاجة إلى المزيد من حشد تعاريف حديثة نسبيا لإبراز العلماء الذين تركوا بصماتهم ماثلة في حفل اللغة الإنسانية وعلومها ،وكان هدفها من هذا التصدير أن نبين للقارئ المطلع على هذا العمل بأن جل العلماء المختصين لا يكادون يفصلون بين الإنسان وما ينهل من لغته ويركب فيها ويتواصل بها من استعمالات شتى،وأن كل ما أوردناه لا يخلو من مساحات تأملية ،مثلما لاحظنا

[1] مقدمة ابن خلدون ،ص:515 ،نقلا عن: فصول في علم اللغة العام ،الرديني ،ص:17.
[2] دلالة الألفاظ ،إبراهيم أنيس ،ص:86.

ذلك عند اللسانيين ،فشتان بين اللغة البشرية والأنساق الإشارية ،أي لغتنا الطبيعية ولغات فنية أو اصطلاحية.

المبحث الأول: الجمع بين الألفاظ.

تعد قضية اللفظ والمعنى واحدة من القضايا المهمّة في تاريخ الأدب العربي ،إذ إشتغل النّقاد والأدبيون العرب بها منذ عهد مبكّر .

فتتكون الكلمة أو أية وحدة لغوية تكبرها من جانبين أساسيين مهمّين لا ينفصل أحدهما عن الآخر ،هما **"اللفظ" و "المعنى"** ودراسة اللّغة في حد ذاتها تعد في جانب كبير منها دراسة للعلاقة بين هذين الجانبين [1].

غير أنّه في بعض المواقف يتأسس بحث صلة الألفاظ بالمعاني **على مظور** يوازي بين القطبين فيجزم مثلا أن الخلاف بين اللفظ والمعنى هو **"أنّ اللفظ** طبيعي والمعنى عقلي ،وبهذا **كان المعنى بائدًا على الزمان ،لأنّ** الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة ،ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان ،لأن **مُستملي المعنى** عقل ،والعقل إلهي ،ومادة اللفظ طينية وكل طيني متهافت"[2].

فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللّفظ والمعنى ،ومنهم من صرّح بأن العلاقة بينهما قديمة وفطرية أو طبيعية ،ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ

[1] ـالشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ **والمعنى** ،د: عبد السلام السيد حامد ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان-**الأردن**ط1- 1437 هـ 2016،ص:15.

[2] الامتناع والمؤانسة ،أبوحيان التوحيدي ،تحقيق أحمد الزين وأحمد أمين ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،المكتبة العصرية بيروت،صيدا 1373 هـ-1953م،ص:115.نقلا عن اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ،د:**الأخضر الجمعي** ،ص:19.

ومعناه شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان ،ومنهم من رأى أن الصلة بينهما مجرد علاقة حادثة ،ولكنه طبقا لإرادة إلهية [1].

وقد اقتضت جهود البلاغيين في هذا الشأن **وخصوصا في كتاب"الصاحبي** في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" يُفرد **"ابن فارس" باب** أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق ويكون ذلك في وجوه فمنه في اختلاف اللّفظ والمعنى ،وهو الأكثر والأشهر ،مثل (**رجل وفرس**) ،و(سيف ورمح) ومنه **اختلاف اللّفظ واتفاق المعنى ،كقولنا**(سيف وغضب)و(ليث وأسد) على مذهبـــنا في أنّ كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من **معنى وفائدة** [2].

ووجه آخر منه اتفاق اللّفظ واختلاف المعنى كقولنا :عين الماء، وعين الميزان ،وعين المال ،ومنع اتفاق **اللّفظ وتضاد المعنى مثل "الظن" وقد مضى الكلام** عليه ،ومنه تقارب اللّفظين والمعنيين مثل(**الحزم**)،(**الحزن**) **فالحزم من الأرض أرفع من الحزن و(الخضم)** وهو بالفم كله و(**القضم**) وهو بأطـراف **الأسنان** [3].

[1] اهتمامات علم الدلالة –النظرية والتطبيق ،د:ميشال عازار مخايل ،ص:25.
[2] **الصاحبي لابن فارس** ،ص:152 ،**نقلا عن**:إشكالية اللفظ والمعنى عند اللغويين القدامى والمحدثين ،إعداد :بلخيرة زينب ،مذكرة التخرج ، ص:6...15.
[3] **المرجع السابق** ،ص:14-15.

إذن اختلفت الآراء وتضاربت حول القضية بالانفصال ومنهم من حكم عليها بالاتصال ،ولكل واحد حجّة مقنعة لا نستطيع تجاوزها.

تعتبر قضية اللّفظ والمعنى في تراثنا مسألة أساسية مشتركة في العلوم والدراسات العربية التي تتصل بالكلمة واللّغة ، حيث أنها هيمنت على تفكير اللّغويين والنّحاة وشغلت الفقهاء ،والمتكلمين ،وتأثرت باهتمام البلاغيين والمشتغلين بالنقد ،نقد الشعر والنثر ،دع عنك المفسرين والشرّاح ،فمسألة اللّفظ ومعناه يشكل موضوع اهتمامهم العلني الصريح[1].

فالعلاقة بين الكلمة ومدلولها شغلت المفكرين في كل زمان ،واتخذت لنفسها أحيانا صورة القضايا الدينية ،وأحيانا أخرى صورة المجادلات الفّلسفية أو الأدبية أو اللّغوية ،وسنعرض فيما يأتي آراء العرب القدامى ،فقد برزت مسّألة صلة الأصوات بمعانيها أمام علماء العربيّة منّذ أن بدأو بالمشاركة العلمية ،ومنها الحركة

اللّغوية على مختلف المستويات [2].

[1] اللفظ والمعنى في البيان العربي لجابري محمدّ عابد ،فصول المجلد السادس ،العدد الأول:1985 ،ص:21.
[2] فصول في علم اللغة العام ،الرديني،ص:196-199.

ويضاف إلى ذلك أن هذه القضية برزت بوضوح في تاريخ الأدب العربي ،وخاصة في القرن الثالث الهجري ،وشغلت الأدباء والنقاد وظلت **منط البحث** والجدل فترة طويلة وقد انقسم هؤلاء أمامها فريقين ،وكان الاتجاه السائد تفضيل اللّفظ على المعنى حتى عرف النقد العربي بهذا [1] .

أ-الجاحظ*:(240 هـ -854م)،يعتبر "**الجاحظ**" من علماء البصرة ،لأنه ولد فيها وتعلم فيها النحو واللّغة والأدب ،عرف عنّه أنه كان يكتب ثم ينسبّها إلى"سهل ابن هارون".[2]

يقف "**الجاحظ**" عند هذه القضية وقفة خاصّة تلفت أنظارنا وتدعونا إلى التأمل فيها ابتغاء الإهتداء إلى المعنى الحقيقي الذي رمي إليه الجاحظ بمقولته الشهيرة: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي ، **والقروي، والبدوي ،إنما الشأن في إقامة الوزن**، وتخيّر اللّفظ ،وسهولة المخرج ،وفي صحة الطّبع ،وجودة **السّبك**"[3].

[1] الشكل والدلالة ،عبد السلام السيد حامد ،ص:16.

*أبو عثمان عمرو بن بحر ،بن محبوب ،الكناني الفقيمي ،لقب بالجاحظ لبروز عينيه ،اختلف العلماء في أصله ، فعتبروه عربي أو إفريقي ،وكذلك نسبوه إلى كنانة ،لم يدع بابا إلا ولجه ولا بحثا إلا جاله ،فبلغت كتبه 360 ،تناول شتى المواضيع ،كتب ومدح ابن الزيات وأهداه كتاب الحيوان ،أما المؤلفات الأخرى ضاع منها الكثير ،منها: البيان والتبيين ،البخلاء ،رسائل التربيع والتدوير ،تاريخ الأدب العربي ،

2 د:عمر فروخ،دار العلم للملايين ،ط2 ،ص:304 ،الجاحظ في حياته وأدبه وفكره لجميل جبر، منشورات دار الكتب اللبناني 1968م،ص:16-19 ،الجاحظ بقلم حنا الفاخوري ،دار المعارف بمصر القاهرة ،نوابغ الفكر العربي ،ط4 ،1971 ،ص:16-17-19-21-24،النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ،محمد الصغير بناني ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط 1994 ،ص:24.

[3] الحيوان ،الجاحظ ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مكتبة مصطفى الحلبي ،مصر ،ج3 ط2 ،ص:121، 138.

أي أن الشعر يُصنع بالكلمات وليس بالمعاني ،فهو ينتصر للّفظ ويجعل له **مكانة في الشعر** فاللفظ عنده لا يعني أصوات الحروف فقط ،وإنما يعني المعنى الشعري ،ويقول كذلك: "فإذا كان المعنى شريفا واللّفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا من **الإستكراه**،...صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[1].

فلقد أنكر اللّفظ الغريب الوحشي ووصفه بـ "**الساقط السوقي والعامي** " ونسبه **إلى ألفاظ السّفلة والحَشْو**" وهذه الأوصاف مما يطلق على العامة بكثير من التحقير والازدراء، فالسّاقط هو من لم يلحق ملحق الكرم[2].

واللئيم في حَسَبِه ونسبه ،ويقال للرجل الدنيء ساقط ماقط لاقط [3].

ومن هنا نفهم أن "**الجاحظ" أنكر كل** لفظ ثقيل على اللسان والقلب ،ويقول: "فإن كان اختيار اللّفظ محكما لم يقدر المعنى على الإفلات ،ومن ثم يكون الوجود والظهور والوضوح...**من** نتائج ظهور حسن اللّفظ والمعنى: فالبليغ إذن هو من كانت ألفاظه قادرة على محاصرة المعاني المتفلّتة والمتسيّبة القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم"[4].

---

[1] البيان والتبيين ،الجاحظ ،تحقيق :عبد السلام محمد هارون ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،1348 هـ ،1961م،ج1 ،ص:83.
[2] لسان العرب لابن منظور ،ضبط نصه وعلق حواشيه د:خالد رشيد القاضي ،دار الأبحث ،ج6ط1،ص294 ،295.
[3] المصدر نفسه ،ص:295.
[4] البيان والتبيين ،الجاحظ،ج1 ،ص :75.

فالغاية من اختيار اللّفظ حتى يحيط بمعناه هو تحقيق الفهم والافهام .**كما** نجده كذلك يقول:"ليس التلازم بين اللّفظ ومعناه **والاسم ومسمّاه إلا صورة من** التّلازم بين حدثين حدث التفكير والتعبير "وكان **يقال عقل الرجل مدفون تحت** لسانه"[1].

ويروي كذلك لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال وكان عليه سكت "[2].

ويبدو حسبه أن صياغة اللّفظ على صياغة الفكر ،وأن اللّفظ يسبق المعنى.

كما نجد "الجاحظ" يقر بأن اللّفظ الفصيح هو ما كان عند **العرب الأوائل** ،السّلف الصالح ،وهو يقول في هذا الصدد :"**ولم أجد في** خُطب السّلف الطيِّب والأعراب

الأوحاح ألفاظا مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعا رديئا ولا قولا مستكرها"[3].

[1] المصدر السابق ،ج1،ص 171.
[2] البيان والتبيين ،ص171.
[3] البيان والتبيين الجاحظ،ج2 ،ص:8،نقلا عن: قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7 هـ/13م،د:الودرني مجلد 2 ،دار الغرب الإسلامي ط1 ،1424 هـ ،2004 ،ص:725.

والشّبه بين السلف والأعراب في فصاحة اللّسان :وقال عمر بن عبد العزيز: **ما** قوم أشبه بين السلف والأعراب لولا جفاء فيهم.

فالأعرابي ،سواء لانّ بالإسلام أم ظلّ على غلظته وجفائه ،ويمثّل كلامه نموذج القول البليغ الأحكى للفظ القرآن ولفظ النّبيّ وكلّ لفظ فصيح :" **وقال** غيلان أبو مروان :**إذا أردت أن تتعلم الدعاء فلسمع دعاء الأعراب**"[1] .

لقد فضل "الجاحظ" الألفاظ لأن المعاني عنده غير متناهية ،أما الألفاظ ،والتي عبّر عنها بالأسماء متناهية ،لذلك اختلف حكمها ،وقال :"**ثم إعلم حفظك الله أن** حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ،لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ،وممتدة إلى غير نهاية ،و أسماء المعاني مقصورة **معدومة ومحصلة محدودة**"[2] .

كما نجده أول من تنبه إلى أهمية العلامة والإشارة في إيصال المعنى ،وأن الدلالة لا تقتصر فقط على اللفظ أو اللغة بمعناها المدرسي التقليدي ،لذلك قسّم أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغيره إلى خمسة أشياء اللّفظ ،الإشارة ،العقد ،الحظ، النصبة.[3]

[1] المرجع السابق ،ص:725.
[2] البيان والتبيين ،الجاحظ،ج1 ،ص:76.
[3] المصدر نفسه،ج1،ص:81.

فهو يعني باللّفظ :**الكلام المنطوق ،وبالإشارة**:الحركة باليد أو بالعين ونحوهما مما يدل على معنى ،و بالعقدّ: ضربا من الحساب يكون بأصابع اليدين ،وبالخط: **الكلام المكتوب وأرسى "الجاحظ"** مبادئ علم الحركة الجسمية(kinetics) **التي من أركانها** الإشارة فتوصل إلى مبادئ توصل إليها المحدثون في هذا المجال من **مجالات علم الاتصال** والخاص بالحركة الجسمية المساعدة على التعبير بعد **قرابة اثنى عشرة قرنا من الزمان ،فقد ذكر أعضاء الجسم تلك التي تقوم بالحركة** الجسمية والتي تسميها الإشارة[1].

اليد ،والرأس والعين، **والحاجب**، كما ذكر المعاني التي تدل عليها حركات تلك **الأعضاء ،كالتّهديد** ،والزجر ،والوعيد ،والتحذير ،ويصرح بأن الحركة الجسمية تعني اللّفظ على الدلالة بل إنها في أحيان كثيرة تغني عن اللّفظ.

فهو حينما يقول:" فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية **موصوفة"**[2] .

[1] البيان والتبيين ،ج1 ،ص:77.

[2] المصدر نفسه،ج1 ،ص:77-78 ،ينظر :المعنى اللغوي ،دراسة عربية مؤصلة ،د:محمد حسن جبل ،مكتبة الآداب ،القاهرة،ط1،1426 هـ،2005م،ص:42 ،وينظر :قضية اللفظ والمعنى ،ونظرية الشعر عند العرب ،د:**الودرني** ،ص:712 ،**كذلك** :النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ،لـ محمد الصغير بناني،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،ط 1994 ،ص:76.

ويقرر ما اكتشفه المحدثون من أن النظام الحركي للشعب من الشعوب يكتسب كأي نظام ،لذا يكون محل اتّفاق بين أبناء المجتمع الواحد ،فلكل حركة جسمية معيّنة مدلول معين في المجتمع الذي يستخدمها وكل حركة ذات مستوى معين فتستخدم لدى طبقة أو فئة أو نوع ،فتصبح خاصة بمستخدمها ،شأن ذلك شأن كمستويات الاستخدام اللّغوي في اللهجات المحلية الاجتماعية [1].

فإذا ظرنا إلى لغة "الجاحظ" نجدها واضحة وهي ما يقتضيه العقل ،فمذهبه واضح الأداء ،ألفاظه دقيقة واقعية حسية ،بعيدة عن الخشونة ،فيقدر اللفظة بجرسها ورنتها وما ينتظر من تأثير توقيعها وتلحينها إذا قورنت إلى أختها ،ويميز الثقيلة والخفيفة ،فيختار ما يؤدي معناه حق الأداء وينزله في منزله، **ولا** تعصيه كلمة مهما دقّ موضوعه ،ولا **يطوى** لسانه على معنى في قلبه ولا يتسنى له ابرازه بالنطق أو تمثيله باللّفظ ،وكان نحاتا **وبناءا في آن واحد ،بظر إلى** شيئين في ألفاظه :الدّقة والموسيقى ،ومن ثم شاعت العذوبة في كلامه كما يعمدّ أحيانا إلى ألفاظ أعجمية أو عامية لمقتضى الحال ،ومهما يكن من أمر **"فالجاحظ"** مصور بارع يصور بجمله وألفاظه ،فيذكر الدّقائق والتّفاصيل بأوضاعها لا

[1] وصول في علم اللغة العلم،ص:108.

بسلسلة تصويرات أو تشبّيهات أو ما إلى ذلك ،وهو في كل ذلك رجل الواقع لا يحيد عنه في حال من الأحوال[1].

فنجده اعتبر الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ،وبه يوجد التأليف **ولن تكون** حركات اللّسان لفظا ،ولا كلاما موزونا ،ولا منثورا ،إلا بظهور **الصوت**[2] .

والحقيقة "الجاحظ"لم يكن يعني الإعلاء من شأن اللفظ ولا الإنّقاص من شأن المعنى ،و إنما الذي كان يريده هو التصوير والصياغة التي تتمثل في تشكيل الألفاظ في نظام خاص يتألف منه الأسلوب الجميل ،الذي لا بدّ أن يقوم على ركيّزتين هامتين هما: **جمال اللّفظ ،وصحة المعنى.**

فهو-**"الجاحظ"**- ينتّصر للفظ ،ويجعل له الشأن في الشعر، كما نجده يضرب أمثالا كثيرة للألفاظ الجيّدة منها والمستّكرّهة الثقيلة ،مثل ،البيت المشهور،(السريع):

[1] الجاحظ:بقلم حنا الفاخوري ،ص:44.
[2] الجاحظ ،حياته ،أدبه ،وفكره ،د:جميل جبر ،ص: 240

وَ قبــرُ حَــرْبٍ بِمَكَـــانٍ قَفْــرِ وَ لَيْــسَ قُــرْبَ قَبْــرِ حَـرْبٍ قَبْـرُ [1]

ونجده يقول في كتابه البيان والتبيين :"ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللّفظ الشريف"[2].

وجعل المعنــى يتماثل مع كل ما هو باطن خفي، واللّفظ كل ما هو ظاهــر جلي [3].

كذلك أن الانطلاق من المعنى نحو اللّفظ إنما هو تقديم للأخير على الأول **خلاف** ما قد يتوهم لأن المتكلم في هذه الحالة غايته المنشودة هي اللّفظ[4].

إذن ،فالنتيجة هي الإنتصار للّفظ دون المعنى ،فاللّفظ هو كل شيء وهو الجانب الظاهر ،غير الخفي ،أما المعنى فيعتبر الجانب الخفي الذي يظهر بسبب اللّفظ فاللّفظ هو الغاية المنشودة حسب "**الجاحظ**".

وإذا أردنا أن نعرف ما يقصده بعنوان كتابه :"البيان والتبيين"، فالبيان هو المعنى والتبيين في **اللّفظ ،والمقصود "المعنى واللّفظ"** ،كما نجده أنه فضل تارة المعنى ،واعتبر البيان بالنسبة لكل من المتكلم والسامع ينطلق فيه من اللّفظ نحو المعنى ،والمعنى فيه هو الغاية التي ينشدها كل منها،أما التبيين فلا يكون إلا من

[1] قضية اللفظ والمعنى ،د: **أحمد الودرني** ،ج2 ط1 ،ص:730.
[2] البيان والتبيين ،ج1 ،ص:136 ،**نقلا عن** :قضية اللفظ والمعنى ،د:**أحمد الودرني** ،ص:739.
[3] النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ ،من خلال البيان والتبيين لـ محمد الصغير بّناني ،ص:149.
[4] **المرجع نفسه** ،ص:166.

المتكلم ، ويتجلى في صورة لفظ هو الخطاب أو الرسالة التي يرسلها المتكلم إلى المخاطب ،و اللّفظ هو الغاية التي ينشدها المتكلم لتأليف خطابه وتركيبه [1].

فنجد الجاحظ قد فضل المعنى وجعلها الغاية المنشودة ،واعتبره البيان أحيانا ،ثم أحيانا أخرى اللّفظ ثم جعله الغاية المنشودة ،واعتبره التبيين ،ولكن المعروف والشائع أن الجاحظ أعطى أهمية كبيرة للّفظ دون المعنى ،وهذا ما لاحظناه من خلال بحثنا عن قضية اللّفظ والمعنى.

وخلاصة القول ،قد حاول "الجاحظ" دحض مزاعم الشّعوبيّين الذين حاولوا تفضيل نصوصهم الأدبية على النّصوص العربية بكثرة معانيها فقد حاول أن يبين قيمة النصوص العربية ويزيد من اثراءها اللغوي ،مستحضرا قواعد ونظريات معتمدة ،وهذا بالنهوض بالإرث العربي القديم واعطاءه قيمة كبيرة لا يستهان بها.

وبدون خجف[2]أو خوف خالف "الجاحظ" هؤلاء وما ترك من كتب وإن كانت قليلة إلاّ أنّها وضّحت الكثير من الغموض وبينت الحقيقة ،وهدفه في هذا واضح،هو إعلاء من شأن اللّغة العربية وبالتالي الإعلاء من شأن القرآن الكريم.

[1] المرجع نفسه ،ص:214.

[2] خجف: الخَجِيفُ :لغة في الجَخيف وهو الطيش والخفة والتكبر ،وغلام خُجافٌ:صاحب تكبر وفخر،حكاه يعقوب،لسان العرب ،ضبط وعلق حواشيه ،د:خالد رشيد القاضي ،دار الأبحاث ،ط1 ،ج4 ،2008 ،ص:28.

تبعه على هذا الرأي "**أبو هلال العسكري**"[1] (وهو من أكبر المؤيدين لمدرسة "**الجاحظ**" **والتي تتعصب للألفاظ**)، فحذا حذوه ،وسلك منهجه ،فمن جملة مؤلفاته التي اشتهر بها مؤلفه "الصناعتين" الذي يعتبر من كتب الدراسات النقدية التي **قامت على أسس البلاغة**.

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب ،باب في **الإبانة عن موضوع البلاغة** وحدودها ففي هذا الباب يشير العسكري إلى أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد لأنّ كل واحدة منهما يفيد **الإبانة** عن المعنى والإظهار له ،كما نجد بعض العلماء يقولون بأن الفصاحة تمام البيان.

ونجد "أبو هلال العسكري" **في الفصل الأول من الباب الثاني من** "الصناعتين" يستمر في دعوته القائمة على تحسين اللّفظ فيحاول أن يسرد أدلة تسند رأيه ،فيقول :"**الكلام**-أيّدك الله-**بحسن** سلاسته ،وسهولته ،ونصاعته و تخيّر ألفاظه ،وإصابة معناه ،وجودة مطالعه ،ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه ،وتعادل أطرافه ،وتشابه أعجازه بهواديه ،وموافقة مآخيره لمباديه ،حتّى لا يكون في

[1] أبو هلال العسكري (بعد395 هـ-1005م)من مصنفاته التلخيص ،جمهرة الأمثال ،الصناعتين،النظم والنثر ،الفرق بين المعاني ...الخ،عتيق العزيز ،علم البيان ،دار الآفاق العربية للطباعة والنشر ،1424 هـ-2004م، ص:53.

الألفاظ أثر ،وكمال صوغه وتركيبه ،فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا ،كقول **معن بن أوس:**

لعمـرك ما أهويت كفّي لريبةٍ ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي

وأعْلَمُ بعلاش مـــا حييتُ لمُنكِر من الأمر لا يمشي إلى مثلِهِ مثلي

ولا مُؤثِر نفسي على ذي قرابةٍ وأُوترُ ضَيْفي ما أقَامَ علىَ أهلي"[1]

فالفصاحة عنده تتضمن اللّفظ والبلاغة تتناول المعنى (والدليل على ذلك أن **الببغاء** يسمى فصيحًا ولا يسمى بليغًا ،إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد **إلى** المعنى الذي يؤديه وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل **وجزالة سُمّي** بليغًا ولم يسمى فصيحًا).

"ومما هو فصيح في لفظه جيّد في رصفه ،قول **الشّنفرى**:(من الطويل)

أطيلُ مطال الجوع حتـى **أُمِيتُـــهُ** وأضرب عنه القلب صفحاً فَيَذْهَـلُ

ولولا اجتنابُ العارِ لم يُلِفُ مشربٌ **يُـعـاشُ** بـه إلاّ لـــــدي **ومأكـلُ**

[1] ينظر:الصناعتين ،أبو هلال العسكري ،ص:61.

ولكن نفسًـــا مُرَّةٌ ما تُقيمُنـــي علـــى الضّيم إلاّ ريثـما أتحوّلُ"[1]

فمعيار سلامة الكلام عنده تنحصر في "سلامة اللّفظ وسهولته ونصاعته وجودة مطالعه ،ورقة مقاطعه وتشابه أطرافه ،وما نسجه على هذا المنوال وفي هذا الهدف أمّا إصابة المعنى ،فليس يطلب من المعنى إلاّ أن يكون صوابا"[2].

ثم يعـزّز رأيه بشواهد وأمثلة يختارها تُعنى بالصياغة اللّفظية تاركا وراءه المعاني عارفا عن قبولها قبولا حسنا ،فهي مبتذلة يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي .

إنّ "العسكري" معنّي بالهيكل وأناقته ،ومفتتن بالألفاظ وإطارها باعتبارها الوسائل التي يتفاضل بحسن اختيارها الأدباء ،وهو يحكي ما قرّره الجاحظ ويتناوله بالكشف والإيضاح ولا جديد عنده عليه، فهما إذن يصدران عن قاعدة واحدة تشكل هذا الرأي الخاص ،ولعلّ مردّ هذا الرأي في تعصبهما الظاهر للّفظ ،إنّما يرجع إلى دوافع نفسية وسياسية وعصبية قبلية ،و إن صّح هذا فهذه الدوافع لا تشكل حكمّا علميا مجردًا ،وتتخلص هذه الدوافع فيما يلي:

[1] الصناعتين،أبو هلال العسكري ،ص:62.
[2] المصدر نفسه ،ص:64.

الدافع النفسي:

لاشك في أنّ "اللّفظ الرقيق ،والجرس الناغم ،والتركيب الناصع ،مظاهر تسيطر على النفوس فتنجذب نحوها انجذابًا ،وجزالة الأسلوب تهيمن على القلوب فتنهر بها وتنساق إليها ،يسرا وراء هذا المظهر البّراق"[1].

سيطر الدافع النفسي على الجاحظ والعسكري نفسيا،وصار ذلك قناعة ورأيًا **وكانت** آراؤهما تعبيرا عمّا يعتقدان.

دافع سياسي:

كانت السلطة الممتدة ما بين عصري "**الجاحظ والعسكري**" مدّة مزدهرة بالترجمة والتأليف والكتابة وصولة البيان ،وكان الخط السياسي معنيا بتقويم **الكتّاب** ،فعليهم تقوم أركان الدولة وبهم ينهض مجد الحكم ،ومنهم يخرج عطاء النّاس ،وبهم يتفاخر الأمراء والوزراء والولاة ،قال "أبا هلال العسكري": "**أفضل** الكتاب إنّما يتميزون بالأداة الصالحة والمهارة الفنية ،وهما يستقيمان باللّفظ والتحكم فيه ،وإخضاع تلك المهارة لأغراض الدولة ومتطلبات السلطان ،وليست أغراض الدولة أغراض علمية"[1] .

[1] المصدر السابق،ص:62.

وقد أضاف في ذلك "فتحتاج إلى عميق المعاني وموضوعية البيان ،و إنّما هي أغراض سياسية تحققها قعقعة الألفاظ وزبرجة الهياكل ،فإذا أضفنا إلى هذا الحد مكانة الجاحظ وشخصية العسكري وما يقتضي مركزهما من التّريث والتدبّر حفاظا على النفس وقضاء للمصالح ،فما المانع أنّ يندفعا هذا الاندفاع إلى إرضاء أولئك الكتاب، أو حذرا من ولاة الأمور ،ولكن هذا التعليل يقضي بأنّ الجاحظ والعسكري وأنصارهما قد تجاهلوا أكيانهم الحضارية ومجدهم العلمي ،وفرطوا بذوقهم الأدبي وتراثهم العقلي راغبين أو راهبين "[2].

وهناك دافعا آخر وهو :

دافع قومي:

ومردّه في إعطاء هذا الرأي وبخاصة "**الجاحظ**" هو محاولة دحض مزاعم الشعوبيين الذين حاولوا تفضيل نصوصهم الأدبية على النصوص العربية **بكثرة**

[1] الصناعتين للعسكري،المصدر السابق ،ص:62.
[2] المصدر نفسه،ص:63.

معانيها، وتدفق أغراضها ،وتعدّد موضوعاتها، فكان ردّ الفعل لذى النقاد العرب هو التقليل من قيمة المعاني ،وإعطاء القيمة للصناعة اللّفظية" [1].

إذا رحلنا إلى الفصل الثاني من كتاب (الصناعتين) فنجد أنّه يقول في البلاغة:

"إنّها كلّ ما تَبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن "[2].

واعتبارهما شرطا في البلاغة مؤكدا أنّ البلاغة إيضاح للمعنى وتحسين للّفظ.

أمّا في باب تمييز جيّد الكلام من رديئه ،يقول:" إنّ الكلام يمتاز بحسن سلاسته وسهولته ونصاعته وجودة مطالعه ،ولين مقاطعه ،وتعادل أطرافه ،أجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا يتعلق معناه ،ولا يُستبهم مغزاه ،ولا يكون مستكرها ويكون بريئا من الغثاثة عاريًا من الرثاثة ،والكلام إذا كان لفظه غثًّا ومعرضه. رثًّا كان مردودًا ،ولو احتوى أجل معنى وأنبله وأرفعه وأفضله"[3] .

وفي الفصل الثاني يرى أنّ ألفاظ الكلام تشتمل على معان تدل عليها ،فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللّفظ .

[1] الصناعتين ،أبو هلال العسكري،المصدر السابق ،ص:64.
[2] المصدرنفسه،ص:16-17.
[3] المصدر نفسه،ص:19.

ويقسم المعاني إلى أنواع منها:ماهو مستقيم حسن ،مثل:رأيت زيدًا ،ومنها ما هو قبيح مثل:حملت الجبل وشربت ماء البحر ومنها ما هو مستحيل مثل: أتيتك **أمس**، أتيتك غدا.

وفي الباب الثالث الذي سماه(معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ)ضمنه أبوابًا خصّ منها: فصل في نظم الكلام الذي ذكر فيه أنّ "مما يشين الألفاظ ويعقدُ المعاني هو التوعر والتعقيد ،فمن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظًا كريما فإنّ حق المعنى الشريف اللّفظ الشريف ،واحذر أن يكون نظمك وخما سهلاً ،ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا وقريبًا معروفًا ولا تضع اللفظة في غير موقعها لكي تصل إلى مركزها باتصالها بسلكها ،ولا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها.

يرى "أبو هلال العسكري" **أنّ سلامة اللّفظ من سلامة المعنى ،وأي خلل في** اللّفظ يصيب المعنى ،وينبغي أن نعرف أقدار المعاني فنوازن بينهما وبين أوزان المستمعين ،وبين أقدار الحالات ،فنجعل لكل طبقة كلاما ولكل حال **مقاما ،حتى نقسم أقدار المعاني على أقدار** المقامات ،وأقدار المستمعين على أقدار الحالات.

وهو يرى أنّه بالنظم توزن الألفاظ ويتم حسنها، **معتبرا الشعر قمة بقوة اللّفظ** لأنّ في تخير الألفاظ إلتئام الكلام ، ومن ثم يكون أدعى للقلوب ، جامعا نهاية الحسن وأبلغ مراتب التمام.

كما نجده في شعر يورده أنّ معناه "جيد وليس للألفاظ رونق"[1].

ولم يبين على ذلك تقديم هذا الشعر ،ويعلق على شعر الأصفهاني العلوي بقوله:

"**ولست أورد أكثرشعره إلاّ** لإصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظة متكلف وجل صنعته فاسد"[2].

ولم يشفع صواب المعنى للعلوي أن يتبوأ شعره الصدارة بل يظل في نظر "العسكري" ضعيفا.

ومن المسلم به عند علماء اللّغة ،أن الألفاظ مهما بلغت دقّتها في الدلالة على المعنى فإنها لا تفي بما يريده المتّكلم التعبير عنه ،ويعجز عن أداء الدلالة كما يريد توصيلها إلى المخاطب ،وعلى هذا الأساس سنعرض بعض الآراء التي فضلت المعنى أو جمعت بين اللفظ والمعنى.

[1] ديوان المعاني ،أبو هلال العسكري ،مكتبة القدسي ،القاهرة ،1352 هـ ،ص:330.
[2] المصدر نفسه ،ص:331.

المبحث الثاني :الجمع بين اللّفظ والمعنى.

ذهب فريق من النقّاد وعلى رأسهم **ابن قتيبة** (ت276 هـ)*

إلى القول بالجمع بين اللّفظ والمعنى مقياسا في البلاغة ،وميزانا للقيمة الفنية فرأى أن الشعر يسمو بسموهما وينخفض تبعًا لهما ،وقد قسم الشعر إلى أربعة أضرب:

1- ضرب حسن لفظه وجاد معناه.

2- ضرب منه حسن لفظه وجلا ،فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

3- ضرب منه جاد معناه ،وقصرت ألفاظه.

4- ضرب منه تأخر معناه ،وتأخر لفظه.[1]

ولم يعدم ابن قتيبة الموافقين له على رأيه ،وفيه من الوجاهة ما يدعمه، **فقد** سار على منهاجه **قدامة بن جعفر** في **نقد الشعر** وتحدث عن **اللّفظ والمعنى** وجعلهما قسمين في تحمل مظاهر القبح وملامح الجودة فيما أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني[2].

* هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276 هـ)،من مؤلفاته :الشعر والشعراء ،أدب الكاتب، عيون الأخبار ،أثر النحاة في البحث البلاغي ،د:عبد القادر حسين ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة،ص:175.

[1] الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،حققه أحمد شاكر،ص:6-9.

[2] نقد الشعر :لأبي الفرج قدامة بن جعفر ،تح نم.محي كمل مصطفى ،مكتبة الخانجي ،ق ط2 ،1978م ،ص:194-214.

فالمسألة عنده هي الصلة بين اللّفظ والمعنى وعلاقة الجودة بينهما هي المفضلة وهذا يعني أن المعاني تتفاوت بين الجودة **والرداءة**.

وإذا وافقنا ابن قتيبة في تقرير الموضوع الأصل وهو سليم جدًا، فإننا يمكن أن نخالفه في تطبيق الحكم على النماذج التي اختارها دليلا على صحة دعواه ،ولاسيما في الضرب الثاني الذي حسن لفظه وقصُر معناه ،فإنّه يستشهد بهذه الأبيات[1].

ولمَّا قَضينا مِنْ منىً كُلَّ حـاجـــةٍ ومسَّحَ بالأرْكانَ من هُو ما سحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهارَي رحالُنا ولَمْ ينظرُ الغادِي الذي هو رائِحُ

أخذنا بأطراف الأحاديــثِ بيننــا **وسالتْ بأعناق المَطىّ الأباطِحُ**

ثم يعقب عليها ناقدًا ،ومعلقًا بقوله :"هذه الألفاظ كما نرى أحسن شيء مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ ،وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وحدّته :**ولما قطعنا** أيام مِنَى ،واستلمنا الأركان وعاليها **إبلنا الأنضاء**، ومضى النّاس لا ينتظر الغادي الرائح ،ابتدأنا في الحديث وسارت **المطيّ في الأباطح**"[2].

[1] تنسب الأبيات إلى كثير عزة (ديوان)،تح :د.احسان عباس ،بيروت ،1971م،ص:525.
[2] **الشعر والشعراء** :لابن قتيبة الدينوري ،حققه ،د:مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط2 ،2005م،ص:14.

فابن قتيبة يحكم على سذاجة المعنى ،ويدعى في الألفاظ سلس العبارة ،وجودة المخارج وحسن المقاطع ،ولكننا يمكن أن نخالفه في موضعين:

الأولى: اعتبار الألفاظ في سياقها جيدة المخارج والمقاطع والمطالع ،وقد يكون بعضها كما رأى، ولكن أقل ما يؤخذ على هذه الألفاظ توالي حروف الحلق في حاءاتها وهاءاتها والعين والغين مما يمنع جريانها في النطق وانصبابها في التحدث إلا بتكلف ،وهي على وجه الضبط: حاجة ،ومسح وهو ،ماسح ،على ،حدب ،المهاري ،رحالنا ،الغادي ،هو رائح، الأحاديث ،أعناق ،الأباطح وذلك ،لأن كثرة توالي الحروف الحلق وازدحامها في الكلام تؤدي إلى خلل في الفصاحة وهو ما عُرف عند البلاغيين بالتنافر ،ويضربون على ذلك مثلا بقول **العربي** "تركتها ترعى الهعخع".

الثاني: إنّ المعاني التي عانها ،ونثرها **نثرا،** لاحاجة إلى بيان ما اشتملت عليه من رقة وزهو وسلاسة ولا سيما في البيت الثالث منها، ويكفي إن **احيك على عبد القاهر الجرجاني** في الشعر أنه قال:(ولما قضينا من منى كل حاجة) **فعبرعن** قضاء المناسك بجمعها والخروج من فروضها وسُننها من طريق أمكنه أن

يقصّر معه اللّفظ وهو طريقة العموم ثم نبّه بقوله:(ومسح بالأركان من هو ماسح) على طواف

الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ،ثم قال :(أخذنا بأطراف الحديث بيننا)فوصل بذكر مسح الأركان ماوليه من زمّ الركاب وركوب الركبان، ثمّ دل بلفظة (الأطراف) على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث ،أو ما هو عادة المتطوفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس ،وقوة النشاط ،وفضل الاغتباط ،كما توجبه إلفة الأصحاب ،وأنَسَة الأحباب ،وكيف يليق بحال من وُفِقَ لقضاء العبادة الشريفة ورجا حُسن الإياب...ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبّق بها مِفْصَل التشبيه ...فصَرَحَ أولاً بما أومأ إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنّهم تنازعوا أحاديثهم على ظُهور الرواحل ،وفي حالة التوجه إلى المنازل وأخبر بعد ذلك بسرعة السير ،ووطأة الظهر ،إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح[1] .

[1] أسرار البلاغة :عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني تح:هـ.رتير ،استنبول ،مط:وزارة المعارف ،1954م،ص :22-23.

نجد ابن قتيبة يسوي بين اللّفظ والمعنى ،"فحيّز الشعر ما حسن لفظه ،وجاد معناه ،فإذا قصر اللّفظ عن المعنى أو حلا اللّفـظ ولم يكن وراءه طائل ،كان الكلام معيبًا "[1].

وخلاصة القول أن ابن قتيبة وإن أدرك لحمة المعنى واللّفظ في إطار الصياغة الواحدة ،إلاّ أنّه ظل مشذوذا إلى الثنائية أيضًا ،وربما كان ارتكازه في بحث المعنى على القيمة الأخلاقية سببا في ترسيخ هذا المبدأ وتعطيل إمكانات مواجهة النص في ذاته والمصادرة على السياق وحده.

فما رأيناه في الألفاظ ،وما قرره عبد القادر للمعاني ،كان بسب مخالفتنا لما ذهب إليه ابن قتيبة من خلال نظرته التطبيقية في نقد الشعر لهذه القضية سطحية جافة لأنّه حولها إلى قضية منطقية بعد أن أثارها الجاحظ من خلال مؤلفه :"البيان والتبيين" باعتبارها قضية ذوقية وناقشها من خلال النصوص التي عرضها ،ولم يفرض تقسيمًا معينًا كما فعل ابن قتيبة ؛إذ قسّم الشعر من حيث اللّفظ ،والمعنى إلى أقسام أربعة.

[1] النقد الأدبي الحديث لـ هلال محمد غنيمي ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1973 ،ص:263.

ولقد أثر "ابن قتيبة" -من خلال دراسته لقضية اللّفظ والمعنى- في الكثير من النقاد بحيث تفاوتت آراء هؤلاء النقاد.

ونجد العديد من النقاد في القرن الرابع هجري يستعملون مصطلح **"المعنى" و"المعاني"** لدلالات مختلفة ،يقول **"ابن طباطبا" في ذلك**: "للمعاني ألفاظ تشاكلها **وتحسن** فيها وتقبح في غيرها ،فهي كالمعرض للجارية الحسناء التّي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض ،وكم من معنى حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"[1] .

فلكلّ معنى ألفاظ تناسبه وتشاكله ،وإذا أبدلت هذه الألفاظ بألفاظ أخرى قريبة منها،فإنّ رونق المعنى وجماله قد يذهب مع هذا التغيير ،فاللّفظ هو المعرض والمعنى هو الجارية الحسناء ،والمعنى هنا يقصد به الفكرة التّي تعبّر عنها **الألفاظ**.

ويبدو أنّ قدامة هنا يرد على الذين يطالبون الشّاعر بالإلتزام بالقضايا الأخلاقية ويجب عليه أن لا يخوض في بعض **التجارب التّي تمس الذوق الأخلاقي**.

[1] عيار الشعر ،ابن طباطبا العلوي محمد أحمد ،تحقيق :محمد زغلول سلام ،منشأة المعارف بالإسكندرية ،مصر ،ص:21-22.

وفي باب المساواة بين الألفاظ ،والمعاني يقول **"بشر ابن المعتمر":**

"**ومن أراد معنًا** كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا ،و**إنّ** حق المعنى الشريف اللّفظ الشريف ،ومن حقهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجنهما"[1] .

ب**قدامة بن جعفر (337 هـ-949 م)*:**لقد فصّل قدامة في قضية اللّفظ **والمعنى،** ثم أعطى المعنى أهمية كبّرى في نظريته الشعرية ،وعالج الوزن والقافية وائتلافهما معًا في ضوء العمل الأدبي ،وفصّل بينهما ،وجعل المعنى المنّطلق لنظيره في الإئتلاف .

وينزل المعنى لدى قدامة أيضا في مستويين :مستوى العنصر الذي يشمله وغيره من عناصر النص التركيب الإئتلافي الشامل وهو بذلك يغدو مادة غير مفارقة لشكلها ،ومستوى المعنى في ذاته حيث يبحث من منظور قيمته وغايته .

وفي هذا المستوى الثاني ينضبط درسه في مسارين هما محاصرته من منظور الغرض ،وتشخيصه ضمن قالب منطقي توضح فيح حدود المعنى عامة ،وهو ما أسماه بنعوت المعاني وعيوبها[2] .

[1] الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ،خلدون بشير ،ص:171.
[2] اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ،د:**الأخضر جمعي** ،ص:68.

فنجده يعيب المعنى ، بقوله: "ليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب، مثلا رداءته في ذاته" [1].

ويأتي عقب المعنى اللفظ الذي يشترط فيه :"أن يكون سمحًا سهل مخارج الخروف من مواضعها ،عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البّشاعة"[2].

وهو يصف اللّفظ نجدّه يعتني بجوانب التلفظ ،مع ذكر الفصاحة عموما ونجدّه أيضا يحصر عيوب اللّفظ في استعمال الحوّشي من الكلام ويجّريه على سبيل الإعراب واللغة ،وهذا في توسعه في الحديث عن عيوب الألفاظ والمعاني ،وائتلافهما ،فيقول:"عيوب اللّفظ أن يكون وملْحونا وجاريًا على سبيل الإعراب واللّغة"[3] .

ثم يقول في موضع آخر :"ومن ذلك عيوب ائتلاف اللّفظ والمعنى ،فمنـّها **الإخلاء** :وهو أن يتّرك من اللّفظ ما به يتم المعنى..."[4]

---

[1] نقد الشعر،قدامة بن جعفر،ص: 66.

.* هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد ،الكاتب البغدادي المضروب به المثل في البلاغة والنقد ،هو أول من وضع الحساب ،له مؤلفات كثيرة منها:جواهر الألفاظ ،نقد الشعر ،نقد النثر ،وصرف الهم؛ والرد على ابن المعتز فيما اعاب عليه أبا تمام ،زهر الربيع في الأخبار حسو حساء الجليس ...،توفي في بغداد عام 337 هـ،جواهر الألفاظ ،لأبي الفرج قدامة بن جعفر ،بتحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ،مكتبة الخانجي ،مصر ط1، 1350هـ-1932م ،ص :12-13/تاريخ الأدب ،عمر فروخ ،ط2 ،ص :434/نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ،تحقيق ،كمال مصطفى ،الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط3 ،1979 ،ص :10-11-12-13/المصطلح النقدي والبلاغي عند الأمدي في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ،دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1 ،2011.

[2] نقد الشعر،قدامة ابن جعفر ،المصدر السّابق،ص:74.

[3] المصدر نفسه ،ص:100.

[4] المصدر نفسه:ص:134.

فهو يرى أنه إذا خالط أو شاب اللّفظ اللّحن أصبح غير لائق معيبًا وكذلك المعنى هو الآخر.

أمّا عن الشعر فنراه يقسمه إلى أقسام ،في مقدمة كتابه "**نقد الشعر**"، فيقول :"العلم بالشعر ينقسم إلى أقسامًا : فقسم ينتسب إلى علم عروضه ووزنه ،وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته ،وقسم ينسب **إلى علم** معانيه والمقصد به ،وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه "،ثم يكمل بقوله :"وقد عنى النّاس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابـــع عنايـــة تـــامة ،فاستقصوا أمر العروض ،والوزن، وأمر القوافي والمقاطع ،وأمر الغريب والنحو ،وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر، وما الذي يريد بها الشاعر"[1].

أي بمعنى أنه قسم الشعر وجعل لكل قسم علم منسوب إليه ،ثم معنى الشعر ومقصد الشاعر من شعره ،فإذا قد صحّ أن هذا على **ما قلناه** ،**فلنذكر الصفات التي** إذا اجتمعت في الشعر أطلق عليه جيد أو رديء ،فقال عن هذه الصفات: "**وأذكر** أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ليكون ما يوجد من الشعر قد اجتّمعت فيه **الأوصاف المحمودة** كلها ،وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمّى شعرًا في غاية الجودة ،وما يوجد بضّد هذا الحال يسمّى شعرا في غاية الرداءة ،وما يجتمع

[1] قدامة ابن جعفر، المصدر السابق ،ص :15.

فيه من الحالين أسباب ينزل له اسم بحسب قربه من الجيد أو الرديء ،أو وقوفه في الوسط الذي يقال لما كان فيه :صالح أو متوسط ،أولا جيد ،ولارديء "[1].

وهنا فمن خلال قوله هذا نفهم أن الشعر ما اجتمعت فيه الأسباب فسماها الأسباب المفردات وهي :اللّفظ والمعنى ،والوزن ،والقافية ،فقد حدد الحكم على القصيدة بجودتها أو رداءتها ،بقوله:" ولمّا كان لكل واحد من هذه الثنائية:(اللّفظ والمعنى، والوزن والقافية، وصور ائتلافهما معًا" صفات يمدح بها وأحوال يعاب من أجلها وجب أن يكون جيد ذلك ورديئه لاحقيه للشعـــر،إذ كان ليس يخـــرج شيء منه عنـها ...ليكون مجموع ذلك إذا اجّتمع الشعر كان في نهاية الجودة ونعقب ذلك بذكر العيوب ،ليكون أيضا مجموع ذلك إذا اجّتمع في شعـــر كان في نهـــاية الرداءة ..."[2].

فالقصيدة إذا لم تكن محكمة في ألفاظها وواضحة المعنى حكم عليها بالرداءة والعكس صحيح ،فنراه حدد ثمانية عناصر للحكم على القصيدة.

[1] المصدر السابق،ص:18-19.
[2] قدامة ابن جعفر،المصدر نفسه ،ص :22-25.

فقد كان العلماء يعيبون على الألفاظ التي تؤدي إلى لبّس في المعنى ،كأن يكون اللّفظ غامضًا أو يؤدي معنيّين فأكثر ،حتى إن بعضهم عاب الأضداد في اللغة[1] .

فمن عيوب اللّفظ نجده يقر بأن من الأعراب من شعره فظيع التوحّش فضرب لنا مثل :ما أنشدناه أحمد ابن يحي عن ابن الأعرابّي لمحمد بن عِلْقَة التَّيميَّ،يقولها لرجل من كَلب يقال له ابن الفنْشَخ،ورد عليه ،فلم يسقه:

-أَفْرِخْ أخَا كَلْبٍ وأَفْرِخْ أَفْرِخ[2]

-أخطأتَ وَجْهَ الحَقِّ في الظَّاخْطُخ[3]

-أَمَا وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ الزُّمَّخ[4]

-يَخْرُجْنَ من بين الجِبَال الشُّمّخ[5]

-يَزُرْنَ بَيْتَ اللهِ عِنْدَ المَصْرَخ[6]

-لَتَطْخَنَّ بِرِشَاءٍ مِطْخ[1]

[1] أثر النحاة في البحث البلاغي ،د:عبد القادر حسين ،ص:18.
[2] أفرخ:سكن ،يقال :أفرخ روعك سكن جأشك.
[3] الظاخطخ:الظلام أو السواد .
[4] المصرخ :المغيث والمعين.
[5] الشمخ:العالية
[6] المصرخ:المغيث والمعين

-مَـــاءً سِوَى مَائِيَ يَا ابْنَ الفَنْشَخ[2]

فكما يقال العلاقة بين اللّفظ والمعنى ،كالعلاقة بين الروح والجسد حتى قيل :"والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه"، **أو" الكلام جسد وروح** ،فجسده النطق وروحه معناه"[3].

وأخيرًا ،يتحقق جوهر الائتلاف في علاقة اللّفظ والمعنى التي تمثل قطب **الرحى لمجمل** علائق العناصر في البنّية الشاملة ،وتبرز بموجبها علاقة المعنى بصورته في أشكال من التآلف ،تبدو أحيانًا تطابقا للعنّصرين في نفس الحيّز الذي تشغله فقد نجد أن **"قدامة بن جعفر"** قد أعطى أهميّة بالغة الأثر لكلا الجانبين ،وجعلهما في علاقة اتصال وأنهما مكملان لبعضهما البعض، فلا اللّفظ يأتي بدون المعنى ،ولا المعنى بدون اللّفظ ،فقد جعل أوصافا لكل منّهما تحميهم من الرداءة **وتجعل** القصيدة بهم محكوم عليها بالجيّدة ،أو الفصيّحة ،غير الرّديئة.

[1] **مطخ الماء**: متجه من البئر بالدلو –**الرشاد**:**الحبل عموما ،أو حبل الدلو**.
[2] **الفنشخ**:فنشخة فنشاخا وزلزله زلزالا بمعنى واحد، نقد الشعر ،قدامة بن جعفر،ص:175.
[3] عيار الشعر ،محمد طباطبا العلوي ،(**ابن طباطبا**)، ،ص:11-12.

المبحث الأول: "وحـدة اللّفظ والمعنى".

اهتم **ابن رشيـق القيروانـي** (ت456هـ)* اهتمامًا بالغًا بقضية اللّفـظ والمعنـى ،واعتبرهما شيئا واحدًا متلازمًا ملازمة الروح للجسد ،فلا يمكن التفريق أو الفصل بينهما ،وقد خصص لها بابًا سماه "**باب في اللّفظ والمعنى**"، وعرض رأيه فيه ،حيث قال :"اللّفظ جسم ،وروحه المعنى ،وارتباطه به كارتباط **الروح بالجسم** :يضعف بضعفه ،ويقوى بقوته ،فإذا سلم المعنى واختل بعض اللّفظ كان نقصًا للشعر وهجنه عليه ،كما يعرض لبعض **الأجسام من العرج والشلل** والعور وما أشبه ذلك ،من غير أن تذهب الروح ،وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ،كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ،ولا تجد معنى يختل إلاّ من جهة اللّفظ ،وجريه فيه على غير **الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح**، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللّفظ موانًا لا فائدة فيه ،وإنّ كان حسن الطلاوة في السمع ،كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين ،إلا أنّه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة

وكذلك إن اختل اللّفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى؛ لأنّ لا نجد **روحًا في** غير جسم البتة "[1].

ويبدو لي أنّ هذا النوع من التعقيد ،والتقرير أقرب إلى القصد ،والاعتدال منه إلى التمحل والتعقيد ،فالصورة عند ابن رشيق لا تكون واضحة الرؤية خصبة التخطيط إلا من خلال عنايتها باللّفظ لتجعله الوسيط الدال على المعنى المراد لتأكيد الصلة ووشيج النسب بينهما ،لأنّ التفكير في اللّفظ والمعنى تفكير جُملي يفكر فيه الأديب مرة واحدة وبحركة عقلية واحدة ،فإذا رُتبت **المعاني في** الذهن ترتيبًا منطقيًا وإذا تحددت في الفكر تحديدًا يجمعه ترابط المعاني وتداعيها، هذا التّرابط وهذا التداعي الذي يرضاه **المنطق أو يرضاه** تصور الأديب انحدرت هذه المعاني على اللّسان بألفاظها الملائمة بها خطابة ،وانحدرت على القلم بألفاظها المطاوِعَة لها كتابةً وشعرًا من غير تهذيب واختيار لهذه الألفاظ" [2].

نجد أنّ ابن رشيق خصص جملة من الآراء المختلفة والمتعددة التي تخص هذا **الموضوع ،قائلا** :فمنهم من يؤثر اللّفظ على المعنى ،ومنهم من يؤثر المعنى

*أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ،ولد بالمسيلة سنة 399 هـ وتوفي في صقلية سنة 463 هـ،من مؤلفاته :**العمدة في محاسن** الشعر وآدابه ،ت :محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،الطبعة5 ،1401 هـ/1981 هـ

[1] **العمدة** في محاسن الشعر وآدابه ،ص:70-71.

[2] بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ،إبراهيم سلامة ،مكتبة الأنجلومصرية ،ط2، 1952م،ص:151، 152.

على اللّفظ ،ويذكر أن الذين يؤُثرون اللّفظ هم فِرَق مختلفة باختلاف نظرتهم للّفظ وقد ذكر منها ثلاثًا:

أولها: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع "**أما الفرقة** الثانية: فهي التي جعلت اللّفظ غايتها وجعلته جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر"، **والفرقة الثالثة** :فهي التي اختارت سهولة اللّفظ وقبلت منها الركاكة واللين المفرط.

"ويبدو لي أن الأفضل :**الطائفة الأولى التي سارت على سنن العرب في** كلامها وكأنّه يميل هنا إلى الذوق القديم فمال إلى تفضيل الطائفة **الأولى**...وهو لم يكثف بوصفهم بالسير على مذهب العرب ،بل أضاف إليها (من غير تصنع).

فالشعر إذا هو الشعر القديم ،ومن سار على هديه فهو المقبول المفضل عند ابن رشيق وإنّما ينظر إلى دلالات الألفاظ ضمن علاقات محددة ،فتكون هذه **الفرق الثلاث** متفاوتة حسب المعيار الذي قرره".

والملاحظة التي يجب تسجيلها في هذا المقام هي أن أغلب النّقاد كانوا في جهة اللّفظ ،والانتصار له على حساب المعنى ،بدليل قوله :

"أكثر النّاس على تفضيل اللّفظ على المعنى ،سمعت بعض الحذّاق يقول:**قال العلماء**: "اللّفظ أغلى من المعنى ثمنًا ،وأعظمُ قيمةً ،وأعزُّ مطلبًا ؛فإن المعاني موجودة في طباع النّاس يستوي الجاهل فيها والحاذقُ ،ولكن العمل على جودة الألفاظ ،وحسن السبك وصحة التأليف..."[1] .

وخلاصة القول التي استنتجناها من هذا :أن ابن رشيق تطرق إلى تلخيص شافي لأهم الآراء النقدية السابقة التي أثارت هذه القضية ،حيث يقول :"**أنّ للناس** فيما بعد آراء ومذاهب :

1-منهم من يؤثر اللّفظ على المعنى ،فيجعله غايته ووكده...؛**كقول بشار**:

إذا ما غَضَبْنا غضبةً مضريَّة ... هتكنا حجاب الشمس أو **قَطَرَتْ دمًا**

2-ومنهم من ذهب إلى سهولة اللّفظ فعُنِيَ بها ،واغتُفر له فيها الركاكة واللين المفرط ،"**كأبي العتاهية** "،"**وعباس بن الأحنف**"، ومن تابعهما وهو يرون الغاية ،قول أبي العتاهية:

يا إخوتي إنّ الهوى قاتلي .. فيسِّروا الأكفان من عاجل

[1] ابن رشيق القيرواني ؛العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،ج1ت:محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،الطبعة 5 ،1981 ،ص127.

3-ومنهم من يؤثر المعنى على اللّفظ فيطلب صحته ،ولا يبالي حيث وقع من هجنه اللّفظ وقبحه وخشونته ،**"كابن الرومي"** ،**"وأبي الطيّب"**...[1]

وبخصوص موقعه هو-يعني **ابن رشيق القيرواني** –فقد ذهب إلى مذهب الوسط ،فاللّفظ عنده بدون معنى جسدّ ميت ،**والمعنى بدون لفظ روحٌ بلا جسد.**

وهذا المنهج الذي اختطه ابن رشيق تكاد تنجذب له نفوس قسم من النقاد القدماء والمعاصرين ،وفي طليعتهم **"ابن الأثير** (ت637 هـ)* الذي يرى أن عناية العرب بألفاظها إنّما هو عناية بمعانيها ،لأنها أركز عندها وأكرم عليها ،**وإن كان** يسوغ بل يعترف بأنّ عناية الشعراء **منصبّة على الجانب اللّفظي ولكنّها** وسيلة لغاية محمودة وهي إبراز المعنى صقيلا ،فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورقّقوا حواشيها ،وصقلوا أطرافها ،فلا تظنّ أن العناية إذ ذلك إنّما هي بألفاظ **فقط** بل هي خدمة منهم للمعاني[2].

نجد أن ابن الأثير في موضع يقول: **"اعلم أن العرب كما كانت تعتني** بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فإن المعاني أقوى عندها ،وأكرم عليها، **وأشرف قــدرًا**

---

[1] **المرجع السابق** ،ص 124 وما بعدها.

*أبي الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمد عبد الكريم **"المعروف** بابن الأثير الموصلي المتوفى عام 637 هـ ،من مؤلفاته :**الجامع** الكبير ،رسائل ابن الأثير...

[2]"ابن الأثير"، **المثل السائر** ،تح :محمد محي الدين عبد الحميد ،مكتبة ومطبعة السعادة ،مصر 1955 ،ص353/1.

في نفوسها ؛فأول ذلك عنايتها بألفاظها ،لأنّها لما كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها ،وبالغوا في تحسينها ؛ليكون ذلك أوقع لها في النفس، وأذهب بها في الدلالة على القصد..."[1]

ونظير ذلك إبراز صورة الحسناء في الحلل الموْشيَّة والأثواب المُحَبَّرة، فإنا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه **بذاذة** لفظة وسوء العبارة عنه؛ **فإن** قيل :إنا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه ،ولسنا نرى تحته مع ذلك معنى شريفا ،فمما جاء منه قول بعضهم:

"ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنَىَ كُلَّ حَاجَةٍ .. وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

أَخَذْنَا بأَطْرَافِ الأحادِيثِ بيْننا .. **وَسَالتْ بأَعْنَاقِ المَطِي الأَبَاطِحُ**

ألا ترى إلى حسن هذا اللّفظ وصقالته ، وتدبيج أجزائه ،ومعناه مع ذلك ليس مدانيا له ولا مقاربًا ،فإنّه إنّما هو لما فرغنا من الحجّ ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الإبل ،ولهذا نظائِر كثيرة شريفة **الألفاظ** خسيسة المعاني [2].

---

[1] **المرجع السابق**،ص:352.

[2] بين البيتين بيت آخر ،وهو: وشُدّت على دهم المهاري رحالنا وَلَمْ يَنْظُرِ الغادي الّذِي هُوَ رَائِحٌ
وللإمام عبد القاهر الجرجاني بحث في هذه الأبيات وهو خليق بأن تعود إليه وتقرأه وتقارن بينه وبين ما ذكره المؤلف ههنا(**انظر أسرار البلاغة** ص:15)والأبيات تنسب لكثير عزة وتنسب ليزيد بن الطثرية ،وتنسب لعقبة بن كعب بن زهير ،ص23.

هذه المحاولة من ابن الأثير لا تفسر الاقتداء بخطوة ابن رشيق ،وهي وإن لم تصرّح بمزج اللّفظ والمعنى هي قالب واحد، ولكنها تشير إلى قيمة المضمون والشكل معًا في صقل الصورة ،وتلمح إلى طبيعة التلاؤم بينهما.

وقد لاقى هذا الاتجاه سيرورة ،وانتشارا عند كثير من النقاد –وإن لم يثبت اطلاعهم عليه، لأنهم لم يشيروا إلى مصدره وكأنهم مبتكرون-فربطوا بين اللّفظ والمعنى حتى ليخيل إليك أنهما شيء واحد ،وحدبوا على تطوير نظرتهم هذه وصعّدوا بها إلى مستوى الحقائق الثابتة من خلال إتباع البحوث لستدلالا ،ونسجًا على منوالها ،حتى أخذت طريقها إلى مستوى النظريات والصيغ النهائية ،كما أن الأسلوب والفكرشيء واحد ،وإن من الخطأ محاولة فصل الشكل عن المادة [1].

حيث ينظر إلى الألفاظ بأنها أساليب وإلى المعاني بأنها أفكار ،ثم يُخطّئ القائلين بفصل الألفاظ عن هذه المعاني.

وقد أبدى شوقي ضيف اهتمامًا كبيرًا بهذه المسألة ،ووجّه لها عنايته الفائقة ،وخصّص لها الصفحات العديدة في كتابه (النقد الأدبي)وتوصّل إلى أن الفصل بين اللّفظ والمعنى ،أو الشكل والمضمون أمر مستحيل... ليس هناك

[1] النقد الأدبي ،وليم فان أوكونور،ص:102.

محتوى وصورة ،بل هما شيء واحد ووحدة واحدة، إذ تتجمع في نفس الأديب الفنان مجموعة من الأحاسيس ويأخذ تصويرها بعبارات يتم بها عمل نموذج أدبي ،وأنت لا تستطيع أن تتصور مضمون هذا النموذج أو معناه من دون قراءته ،وكذلك لا تستطيع أن تتصور صورته أو شكله أو لفظه ،دون أن تقرأه ،فهو يعبر عن الجانبين معًا مرة واحدة ،وليسا –**هما**-جانبين ،بل هما شيء واحد أو جوهر واحد ممتزج متلائم ،ولا يتم نموذج فني بأحدهما دون الآخر.

وإذن فلا فرق بين المعنى ،والصورة، **أو اللّفظ في نموذج أدبي...ومعنى ذلك** أن مادة النموذج الأدبي وصورته لا تفترقان فهما كل واحد.

وهو كل يتألف من خصائص جمالية مختلفة قد يردّها النظر السريع إلى الخارج أو الشكل ،ولكننا إن أنعمنا النظر وجدناها **تردّ إلى الداخل والمضمون،** فهي تنطوي فيه ،أو قُل تنمو فيه ... **وإذن فكل ما نلقاه في كتب البلاغة من وصف اللّفظ إن تأملنا** فيه وجدناه في حقيقته يرد إلى المعنى ،حتى الجناس وجرس الألفاظ ،فضلا عما توصف به الكلمات من ابتدال أو غرابة .**والمضمون**

بهذا المعنى يتحد مع الشكل ،فهو البناء الأدبي كله وهو الحقائق والأحاسيس النفسية الكامنة فيه"[1].

وخلاصة القول أن هذه الثّنائية**شغلت بال النقاد** العرب القدامى ،وأدت بهم إلى غرض قسيمات منطقية لها وإلى إصدار أحكام أدبية كانت عند ابن الأثير بمثابة الوسيلة الفعالة لطرق قضايا شائكة تتعلق بطبيعة التركيب الأدبي كفكرة التبدّد

والتوحّد التي أدت به إلى الربط بين المعنى والعقل ووصل الحسن باللفظ، **وإلى أن روعة** المعاني تعود إلى وقوع اتفاقها في النفس ،وأن جمال الألفاظ يؤول إلى **وقوع** اختلافها في السمع.

[1] **في النقد الأدبي** :د.شوقي ضيف ،دار المعارف بمصر ،ص:163-165.

المبحث الثاني: العلاقة بين اللّفظ والمعنى .

لقد ألفنا الفصل بين اللّفظ والمعنى قائمًا لدى النقاد والبلاغيين العرب ،إذ يجّعلون للألفاظ صفات ،وللمعاني صفات أيضًا ،حتى جاء"**عبد القاهر الجرجاني "*(ت:471هـ/1079م)** ،برأي جديد ،وعاب على من يفّضلون اللّفظ وحده ،أو المعنى وحده ثم دعا إلى ثنائية الصّورة أو الطّرفين ،دون فصل بينهما ،فقد اعتبر المعنى ليس ذلك المعنى العقلي المنطقي ،بل المعنى الشعري المتولد من الصّياغة أما الألفاظ خدم للمعاني ،وأوعية لها، تتبّعها في حسنها وجمالها أي للّفظ وظيفة واضحة لابد أن يؤدّيها إلا فلا قيمة له حتى في ذاته.

يعد "**عبد القاهـر** "أحد علماء النحو والبلاغة ،وما مصنفاته إلا دليل كافي كفايّة خصوصًا كتاب: "**دلائل الإعجاز** "،و"**أسرار البلاغة في البيان**"، فقد خطأ القول بالفصل بين اللّفظ والمعنى ،ومن ثمّة فلا فائدة ترجى من المفاضلة بينهما باعتبار أن لكلّ طرف دورًا في القول ولا يمكن أن نجني من عزل أحدهما عن الآخر عزلاً إيديولوجيًا إلا سوء الفهم **والانتصار** للمذهب الذي نتبناه دون دليل **عملي مقنع**[1].

*الجرجاني هو الإمام المشهور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني كان عالمًا بالنحو والبلاغة ،وإمامًا في البيان ،شافعي المذهب تكلم بطريقة الأشاعرة ،جاء بنظرية النظم له كتب كثيرة منها دلائل الإعجاز،أسرار البلاغة في البيان ،المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي

ومن الشائع أن "عبد القاهر "قد عرّف بأهم نظرية عربيّة، ألا وهي **"نظرية النظم" ومن اللامبالاة** وقلة الاهتمام أن لا نعرض هذه النظرية ،ولو بالقليل هادفين إلى معرفتها ،وتعريّفها للقارئ ،مستّفيدين ومفيدين.

يقول **"الجرجاني" عن معنى النّظم** :"هذا كلام وجيز يطلع به النّاظم على أصول النحو جملة وكل ما به يكون النظم دفعة "،ويقول كذلك :"فليس النّظم شيئًا إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين **معاني الكلم** [1]**أنك قد** تبيّنت أنّه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى **لا ترادفي جملة ،ولا** تفصيل ،خرجت الكلم المنطوق ببعضها في أثر بعض في البيت من الشعر، والفصل من النثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب **،ومقتضى"**[2].

فالنظم هو النحو وأحكامه ،ثم فرق بين النظم في الحروف وفي الكلام ،فالنظم في الحروف لا يعتدّ به ،ولا ينظر فيه ،وليس إليه مردّ الحسن أوالقبح ،بل المهم عنده نظم الكلام ،ويحدد له أوصاف خاصة لا تأتي من مجرد الضم كيفما اتفق

والمقتصد في شرح الإيضاح ،العمدة في التصريح....ينظر:**أثر النحاة في البحث البلاغي** ،د:عبد القادر حسين،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ص:371 **وكذلك** :دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني ،ت:محمد شاكر،القاهرة ،ط3 ،1992 ،ص:10.

[1] أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب –مقاربة عرفانية تداولية –أ:صابر الحباشة ،دار زهران للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1، 2011م ،ص:152.

[1] دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق،ص:403-404.

[2] **كلم** :وردت في عدة أماكن في القرآن الكريم ،وهي جمع اسم جنس، **جمع كلمة ،والكلمة ما** اجتمعت فيها حروف لتفيد معنى يقول سيبويه:"**الكلمة** اسم جنس تفوق ثلاث حروف أفادت معنى أو لم تفد يطلق عليها كلمة"

فيقول :"**فلو أن واضع اللغة كان قد قال :(ربض)مكان (ضرب)لما كان في ذلك** ما يؤدي إلى فساد ،أما نّظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك ،لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني ،وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النّفس فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ،وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف **جاد واتفق**"[1].

ويقول في موضع آخر عن النظم هو :"**توخي معاني النحو في معاني الكلم** ،وأن توخيها **في مثون الألفاظ محل** " .

ومن هنا نفهم أنّه يعتبر النظم مجموعة من العلاقات بين الكلمات وارتباطها ببعضها في تماسك شديد ،فالنظم يطرأ عليه الفساد إذا أخطأنا التقديـر **في المعنى** إن بقيت الألفاظ في مواضعها ولم تتّغير عن أماكنها ،فالنظم يخص النحو ومعناه ولا يخص الأ**لفاظ** ،فالتحرّي في سلك الألفاظ مستّحيل ومحال حسب "**الجرجاني**".

وقد نجد هذا المصطلح (الظم) ،عند "**الأشاعرة**" ،أحيانا عند "**المعتزلة**" ،أمثل :"**الجاحظ**" في كتابه "**نظم القرآن** "أمّا "**الجرجاني**" فنجده يميل إلى مذهب "**الأشاعرة**" ،فيجعل اصطلاح النظم الشائع عندهم على اللّفظ والمعنى ،ثم وجه

[1] دلائل الأعجاز الجرجاني ،ص:40 ،نقلا عن: أثر النحاة في البحث البلاغي ،د: عبد القادر حسين ،ص:383-384.

نقد في كتابه "**دلائل الإعجاز**" إلى اللّفظ والمعنى في مرد الفصاحة والإعجاز إليهما أو أحدهما ،بل يجعل الفصاحة والإعجاز في النظم وتراكيب الكلام ،ومشكلة اللّفظ والمعنى قد نشأت في جو ديني يدور في فلك القرآن.

وعلى الرغم من أنّ الدّافع إلى وضع هذه النّظريات عند "**عبد القاهر**" كان دينيًا بحتًا وغرضه خدمة الدين والعقيدة ،إلا أنّ هذا الهدف لم يتّحقق ،فنجد كتاب "**الدلائل**" لم يَخلو من المباحث النّحوية والبلاغية [1] .

فقد قامت قضيّة اللّفظ والمعنى على أساس النظم ،فالنظم عنده صياغة كلامية ودراسة نحوية حيث يعتبّر النحو علم يدرس الجملة وأصولها وتكوينها ،ومواضع كلّماتها ثم أقسامها في الجملة، ويسعى إلى البحث عن خصائص الكلمة ،هذا ما ورد في تعريف "**الجرجاني**" للنظم وذلك بتعليم معاني النحو وقوانينه وأصوله .

أما فكرة الإعجاز القرآني فقد ربطها باللّغة كنسق لغوي ، فالإعجاز يكون في الفصاحة والبلاغة ،حيث قال تعالى:" **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ**

[1] أثر النحاة في البحث البلاغي ،د: عبد القادر حسين ،ص :372.

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "[1].

وبهذه الآية يتّضح الإعجاز بهذه الفضائل التي مردها ارتباط كلماتها ببعضها البعض.

فقد نوديت الأرض وأمرت **بابتلاع الماء**، وهذا من خصائصها ،ثم السماء واعتبر كل هذا بقدرة من الله سبحانه وتعالى ،وقال (**وقضي الأمر**)،وبعدها تّستقر **الأمور** كما أمرها الله وهي قوله (**استوت على الجودي**) وهذه لعبرة للقوم الظالمين.

فهذه الخصائص تزيد الإعجاز جمالاً ،فالإعجاز عند "**الجرجاني**" هو اعتماد مرتكزات النظم في الإعجاز القرآني ،الذي له صلة بالأصوات ومعانيها .

فنظرية النظم تضم عدة مفاهيم تنتّمي إلى حقل الكلام الذي يؤدي إلى توخي معاني النحو فيما بين الكلم.

[1] سورة هود ،الآية :44.

فنجد في كتابه "**دلائل الإعجاز** "يعتبر النظم: "وضع الكلام الذي يقتضيه علم النحو ، والنحو هنا لا ينحصر بالإعراب بل يشمل كذلك علم المعاني والبلاغة والبيان ،والبديع، ويدور حول الشّكل لا المعنى ،فيتناول الصناعة والاختّيار والتحسين ،والشّكل لا يتعلق باللّفظ المفرد بل بموقعه في الجملة.

وليس بالجملة بمفردها ،بل بائتلافها مع جاراتها"[1]،"**فالجرجاني**" يعتبر النظم نحو وبلاغة كما قلنا في السابق ؛أما النحو ليس هو ذلك المتعلق بالإعراب وإنما المقصود به ما اشتمل على علم المعاني والبلاغة والبيان والبديع ،ويدور في فلك الشّكل لا المعنى ولا اللّفظ ،وإنّما حسب موقعه في الجملة.

فانطلاقًا مما سلف ،يمكن "**للجرجاني**" أن يدلّل على الأصل اللّغوي لنظريته في النظم ،ذلك أن: "**الألفاظ** المفردة التي هي أوضاع اللّغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض ،فيعرف فيما بينها فوائد"[2].

فغاية النظم إحداث تأليف بين الكلم بحيث يتوافق مع العقل فنظرية النظم تشمل كل استعمال للكلام ،وعلى الرغم من هذا التحديد يتوافق مع تعليلات كثيرة ،تبتغي حصر فعالية النظم من خلال قوله :"ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت

[1] دلائل الإعجاز ،الجرجاني ،ص:54.
[2] المصدر نفسه،ص:415.

ألفاظها في النطق ،بل أن تناسقت دلالتها وتلاحقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل "[1].

فالنظم نظرية كلامية-أي جمع كلمة-نفسيّة ،من منظور عقلي حيث تصبح صياغة القول هو فعل عقلي محض لمعاني الكلّمات في كمونها النفسي.

فنراه –"الجرجاني"- قد نفى التّفاضل في الكلمات قبل انخراطها في سلك التآلف فالكلمة المفردة ،وإن كانت مألوفة مستّعملة ،فإنّها لا تفضل كلمة أخرى إلاّ لإعتبار "مكانـها من النّظم وحسن ملائمة معناها لمعانـي جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها "[2].

ودليلينا في هذا أنك تجد كلمة تروقك وتؤنسك في موضع ،ثم تراها نفسها تثقل عليك في موضع آخر[3] .

إذن، نراه قد رفع بعض الغموض عن العلاقة بين اللّفظ والمعنى من خلال النّهي عن تفخيم شأن اللّفظ على حساب المعنى في إطار نقد.

[1] المصدر السابق ،ص:40-41.
[2] المصدر نفسه ، ص:44.
[3] المصدر نفسه ،ص:46.

فقد ربط الكلمة في جانبها البلاغي بالسّياق [1]،وأرجع المزية للمعنى إذ المراد باللّفظ معناه في صلته بمعان أخرى، ومن ثم وقف على الجانب الذهني لعملية نظم الكلام ،مؤكدًا أنّها عمليّة أساسها الفكر تبدأ من ترتيب المعاني في الذهن أو النفس باتجاه ترتيب الألفاظ في النطق ،يقول :"لا يتصوّر أن تعرف للّفظ موضعًا من غير أن تعرف معناه ،ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبًا وظمًا ،وأنّك تتوخى الترتيب في المعاني ،وتعمل الفكر هناك ،فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها ،وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى ان تتأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها ،وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق "[2].

كما وجدنا يقول عن اللّفظ في كتابه :" أسرار البلاغة في علم البيان ":"حلّو رشيق ،وحسن أنيق ،وعذب سائغ [3] .

وخلوب رائع ،فاعلم أنه ليس ينّبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس [1] .

---

[1] تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجرى عليه ،ينظر: قاموس مرشد الطلاب ،منشورات المرشد الجزائرية ،قاموس عربي-عربي،ص:162.

[2] الدلائل ، ص:54،نقلا عن:النقد الأدبي في آثار أعلامه، د:حسين الحاج حسن ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط1 ،1416 هـ،1996م،ص:955.

[3] سائغ : الطعام والشراب السهل المدخل في الحلق ،وجده لقمة سائغة أي سَهُلَ انتصاره عليه ،جائز ،مُباح ،ينظر :قاموس مرشد الطلاب ،ص:133.

الحروف وإلى ظاهر الوضع اللّغوي بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناده.

وأمّا رجوع الاستحسان إلى اللّفظ من غير شرك من المعنى فيه ،وكونه من أسبابه ودواعيه ،فلا يكاد يعد نمطًا واحدًا ،وهو أن تكون اللفظة مما يتعارف **الناس** في استعمالهم ،ويتداولونه في زمانهم ،ولا يكون وحشيًا غريبًا ،أو عاميًا سخيفًا سخفه [2] .

بإزالته عن موضع اللّغة وإخراجه عما فرضته من الحكم....**،فالحسن والقبح** فيها لا يتعدى اللّفظ والجرس ،إلى ما له مناجاة العقل والنفس[3].

فأحسن الألفاظ ما كانت تحمل هذه الصفات التي نعت بها **"الجرجاني" الألفاظ** وأن تكون اللّفظة غريبة وحشية أو سخيفة.

لقد واجه **"عبد القاهر"** نقدًا لاذع كون أن هذه النظرية قد وجدت قبله وأن الفضل يعود للسابقين ،فقد وجدت هذه الكلمة –**النظم**-قبل **"الجرجاني"** بمئات السنين ،والنظم في تعريفه عند السابقين هو نفسه عند **"الجرجاني"** أي لم يضف

---

[1] جمع جرس بكسر الجيم وبفتحها –وهو الصوت أو الخفي منه ، ينظر: **أسرار البلاغة للجرجاني** ص:14-15.

[2] **السخف**-بالضم-مصدر كالسخافة ،وأكثر ما يستعمل الأول في رقة العقل وضعفه والجملة بيان للعامي السخيف ،ينظر: **أسرار البلاغة للجرجاني** ص:14-15.

[3] أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1423 هـ/2002م،ص:14-15.

له شيئًا ،لكنه جعل النظم إطارًا عاما تدور حوله البلاغة كلها بأبوابها وفصولها وأقسامها[1].

فتحدّث قبله "**سيبـويـه**"(ت:180 هـ) **عن المعنى النظم ،وائتلاف الكلام** ،وما يؤدي إلى صحته وفساده ،وحسنه وقبـحه ،وتحدث عنـه مراعيًا فيه **أحول النحو** [2].

كما نجد "الجاحظ" هو الآخر قد تحدث عن النظم ،بقوله :"**وأجود الشعر إذا** رأيته متلاحم الأجزاء ،سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ **إفراغا واحدًا ،وسبك** سبكًا واحد ،فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" [3].

أمّا "المبرد" (ت:285 هـ) يرى أن البلاغة في حسن النظم ،فيقول :"**وحق** البلاغة إحاطة القول بالمعنى ،واختيار الكلام ،وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها "[4].

فالنظم كان إذن شائعًا ومتداولاً بين العلماء ،وقد كان هذا على سبّيل النقد فإذا **كان القصد بأنّ "الجرجاني"** قد انتّفع بجهود السابقين في نظريته ،أو أنّهم كانوا

[1] أثر النحاة في البحث البلاغي ،عبد القادر حسين ،ص374.
[2] المرجع نفسه ،ص،374.
[3] العمدة في محاسن الشعر للجاحظ ،ج1 ،ص :257 ،نقلا عن :أثر النحاة في البحث البلاغي ،د:عبد القادر حسين ،ص:375.
[4] الرسالة العذراء،ص:17 ،نقلا عن:أثر النحاة في البحث البلاغي ،د:عبد القادر حسين ،ص:376.

أشعة أضاءت له الطريق ،فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك ،فما من نظرية تقوم على الفراغ ،أو تبّنى على هواء ،أو تخلق من العدم ،والانتفاع بآراء الآخرين لا يصح أن يكون موضع طعن لأصحاب النظريات المتجّددة ويبدو أنّه استّسقى نظريته من منابع عديدة تتّصل باللّغة والمنطق والنحو فمثلا تبدو نظرته اللّغوية في فكرة ارتباط اللّفظ بالمعنى ،فهي لا تقف عند جرس الألفاظ ،وخفتها على اللّسان ،بل ارتقت إلى حيث ائتلاف معانيها حتى يبلغ الجودة في الكلام المنظوم.

فقد أدرك **"الجرجاني"** سرّ العلاقة القائمة بين اللّفظ والمعنى ،ورفضه الأخذ بأحدهما دون الآخر ،غير أن هناك من اعتبره من أنصار المعنى دون اللّفظ نظرًا لانتقاده لدعاة اللّفظ وقد عاد بالنظم باعتباره عبارة عن علاقة تربط بين الألفاظ والمعاني ،فالفضل يعود **"للجرجاني"** في كشفه لعلاقة اللّفظ والمعنى ،ولما لهما من مميّزات وخصائص.

ومن المؤكد أنّ **"الجرجاني"** قد أنفق وقتًا طويلاً ، وبذل جهدًا كبيرًا لإخراج نظرية النظم ،على الصورة التي وصلت إلينا ،ولا شك أنّه قد نجح تمامًا في ابراز العلاقة بين معاني النحو وكيفية النظم ،وأسدى إلى البلاغة العربية فضلاً كبيرًا حين جعل توخي معالجة النحو ووجوهه يتحكم فيها الذوق والشعور ،كل

ذلك ليس موضع إنكار ،ولكنه ينّصب على بعض سقطات ضئيلة ،وهنات خفيفة لا تقلل من شأن النظرية.

وخلاصة القول ،إنّ مواجهة النّص بمفاتيح تزدوج فيها الرؤية بين اللّفظ والمعنى ومن خلال النظم ،كان الغالب في الإعجاز قبل مجيء "عبد القاهر" ثم أصبحت هذه النّظرة عنده قائمة بذاتها ذات قواعد تحكمها وتراهن على مبادئ لغوية معتمدةً على السّياق لتعليل وحدة عناصره المتفاعلة بالاعتماد على معاني النحو.

وفي الأخير ، نقول أنّ الإعجاز القرآني يكمن في نظمه على حد تعبير "الجرجاني" ،ونراه ينتهي إلى نظريته الخاصة أن بلاغة الكلام ليست في اللّفظ أو المعنى ،وإنّما هي في نظم الكلام ،أي في الأسّلوب.

خاتــمــة

إنّ البحث العلمي الحقيقي في موضوع علاقة اللّفظ بالمعنى، يتطلب الإحاطة الكاملة بما تناوله القدامى من اللّغويين العرب حول هذه القضية ،ومن آراء متضاربة وأفكار متباينة ومن خلال تصفحنا لمجموعة من المصادر واستخلاصنا لجملة من الأفكار توصلنا إلى رصد بعض النتائج وتتمثل فيما يلي:

1- اتضحت مسألة اللّفظ والمعنى في تاريخ الأدب العربي ،وبالضبط في القرن الثاني الهجري ،فظلّت محط البحث والجدل فترة طويلة استحوذت اهتمام الأدباء والنقاد.

2- إن علاقة اللّفظ والمعنى في تراثنا مسألة مشتركة في العلوم والدّراسات العربية تتصل بالكلمة واللغة ،حيث هيمنت على تفكير اللّغويين والنحاة، واستأثرت باهتمام البلاغيين .

3- تكاد وظيفة اللّغة تنحصر في الدلالة على معنى أو فكرة تدور بخلد المتكلم وذهّنه ،وذلك ما تؤديه اللّغة بأصواتها ذات النظام المعين فقضية اللّفظ بالمعنى تمثّل جوهر البيّان باللّغة.

4- الانتّصار للّفظ كان مرحلة مقدّمة من الأفكار الأخرى ،وكان هذا نتيجة للمعارك الشعرية التي سارت في بداية عصر الإسلام وما بعده.

5- كان أنصار اللّفظ –الجاحظ والعسكري-معنيان بحسن الصياغة وجزالة الألفاظ ،وقد عللنا هذا الرأي بصدوره عن دوافع نفسية وسياسية، وقومية، انتهت بأناقة اللّفظ وجرس الكلمة.

6- أثر أنصار الجمع بين اللّفظ والمعنى في كثير من النقاد من خلال مساواتهم هذه ،وأهمهم ابن قتيبة ،وقدامة بن جعفر.

7- لقد وحدّ ابن رشيق وابن الأثير اللّفظ والمعنى ،وجعلوا اللّفظ جسم وروحه المعنى ،فهما يكملان بعضهما البعض.

8- جمعت فكرة عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النّظم أفكار اللّفظ والمعنى ، حيث عالج هذه القضية بشكل علمي ،وعقلي ومن منظور ديني محظ ،فهذه النظرية وكما وصلتنا في طورها الناضج عنده ،تمثل محاولة عميقة عرفها التراث العربي الإسلامي.

9- إن الهدف من دراسة علاقة اللّفظ بمعناه ليس هو فقط جردًا لأقوال العلماء والنقاد بقدر ما هو اطلاع على الفكر العربي القديم عمومه من أجل إذكاء الوعي الثقافي لدى دارسي الأدب عمومًا

وفي الختام ،نرجو أن يكون موضوعنا هذا عتبة بداية لأيّ بحث يسعى إلى تطوير هذه الدراسات ،وخدمة للفكر واللّغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- **أثر النحاة في البحث البلاغي** ،د:عبد القادر حسين ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة.

3- أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب-مقاربات عرفانية تداولية –أ:**صابر** الحباشة ،دار زهران للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1 ،2011.

4- أسرار البلاغة في علم البيان ،د:عبد القاهر الجرجاني ـدار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1423 هـ -2002م.

5- أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى في خطاب التفسير –**نموذج الطبري** –تأليف د:**أحمد**الودرني ،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ليبيا ،ط: 1 ،2006 .

6- اهتمامات علم الدلالة –في النظرية والتطبيق-،د: ميشال غازار مخايل، المؤسسة الحديثة للكتاب ،لبنان ،ط:1 ،2012م.

7- البيان والتبيين ،الجاحظ ،تحقيق :عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1348 هـ -1961م.

8- تاريخ الأدب العربي ،تأليف ،د: عمر فروخ ،دار العلم للملايين ،ط2.

9- **الجاحظ، بقلم حنّا الفاخوري ، الناشر** :دار المعارف بمصر ،القاهرة ،ط:4 ،1971م.

10- الجاحظ ،في حياته وأدبه ،وفكره ،بقلم: جميل جبر ،منشورات دار **الكتاب اللبناني**،1968.

11-جواهر الألفاظ ، قدامة بن جعفر ،تحقيق :**كمال مصطفى ،مكتبة الخانجي** بالقاهرة ،ط:3 ،1979م.

12-الحيوان ،الجاحظ ،تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط:3 ،1388هـ -1969م.

13-الخصائص ،ابن جني ،تحقيق :محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،مصر**ط**:1.

14-دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق :**محمود محمد شاكر** ،القاهرة ،ط:3 ،1992.

15-دلالة الألفاظ ،إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط:2 ،1984.

16-ديوان كثير عزة ،تحقيق :إحسان عباس ،بيروت ،1971م.

17-ديوان المعاني ،أبوهلال العسكري ،مكتبة القدسي ،القاهرة ،1352 هـ.

18-الشعر والشعراء ،ابن قتيبة ،تحقيق :أحمد شاكر ،دار المعارف ،القاهرة **ط**:2 ،1966م -1967م.

19-الشكل والدلالة ،دراسة نحوية للفظ والمعنى ،د:عبد السلام السيد حامد ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان ،الأدرن ،ط:1 ،1437 هـ - 2012م.

20-الصناعتين ،أبو هلال العسكري ،تحقيق :عتيق عبد العزيز ،دار الآفاق العربية للطباعة والنشر ،1424هـ -2004م.

21-علم اللغة عند العرب ،ورأي علم اللغة الحديث ،د:شرف الدين الراجحي ،دار المعرفة الجامعية ،جامعة الإسكندرية.

22-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،تأليف :**الإمام أبي علي الحسن** بن رشيق القيرواني ،تحقيق :عبد القادر أحمد عطا ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان **ط:1** ،1422 هـ -2001م.

23-عيار الشعر ،ابنطباطبا العلوي ،تحقيق :**محمد زغلول سلام** ،منشأة المعارف بالإسكندرية ،مصر ،1956م.

24-في رحاب اللغة العربية ،د:عبد الجليل مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ،تلمسان ،الجزائر ،ط:2.

25-في اللسانيات ونحو **النص** ،د:إبراهيم خليل ،دار المسيرة للنشر والتوزيع **والطباعة** ،عمان ،الأردن ط:1 ،1427هـ -2007م.

26-**فصول في علم اللغة العلم** ،د:**محمد** علي عبد الكريم الرديني ،دار الهدى للنشر ،والتوزيع ،عين مليلة ،الجزائر ،ط:2009م.

27-قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب ،من الأصول إلى القرن 7 هـ/13هـ ،د:**أحمدالودرني** ،**دار الغرب الإسلامي** ط:1 ،1424 هـ2004م.

28-اللسانيات ،النشأة والتطور ،أحمد مؤمن ،ديوان المطبوعات الجامعية،ط:5.

29-اللغة ومعناها ومبناها ،د:**تمام حسان** ،**دار الثقافة** ،1994م.

30-اللغة وأنظمتها بين القدماء ولامحدثين ،د:نادية رمضان النجار ومراجعة وتقديم ،د:عبدهالراحجي.

31-اللفظ والمعنى في البيان العربي ،جابري محمّد عابد ،فصول المجلد السادس ،العدد الأول،1985م.

32-اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب –دراسة د:الأخضر جمعي ،موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الأنترنيت،دمشق،2001م.

33-مدخل إلى علم اللّغة ،المجالات والاتجاهات ،د:محمود حجازي فهمي،الدار المصرية ،السعودية ،ط:4،،2006م.

34-المصطلح النقدي والبلاغي عند الأمدي ،في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ،أ:نوح أحمد عبكل ،دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ط:1،2001م.

35-المعنى اللغوي ،دراسة غربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا،د:محمد حسن حسن جبل ،مكتبة الآداب ،القاهرة ،ط:1 ،1446 هـ -2005م.

36-المعنى والدلالة في البلاغة العربية-دراسة تحليلية لعلم البيان ،د:محمد جاسم جبارة،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ،ط:1 ،2013م-2016م.

37-مفاهيم لسانية –محاضرات في اللسانيات العامة-دي سوسير ،جامعة تلمسان ،دار الغرب للنشر والتوزيع.

38-النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية –عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين-محمد الصغير بناني ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط:1994م.

39-نظرية اللّغة والجمال في النقد العربي ،د:تامر سلوم ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،سورية ،ط:1 ،1983م.

40-النقد الأدبي الحديث ،غنيمي هلال ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1973م.

41-نقد الشعر ،الفرج قدامة بن جعفر ،تحقيق :كمال مصطفى ،مكتبة الخانجي ط:2 ،1978م.

42-النقد الأدبي في آثار أعلامه ،د:حسين الحاج حسن،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط:1 ،1416هـ-1996م.

القواميس والمعاجم:

43-فقه اللّغة وسر العربية للثعالبي ،تحقيق :ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية،بيروت ط :2، 1420هـ -2000م.

44-قاموس مرشد الطلاب ،عربي-عربي-قاموس مدرسي ،منشورات المرشد الجزائرية.

45-لسان العرب ،ضبط نصه وعلق حواشيه ،د:خالد رشيد القاضي ،دار الأبحاث ط:1 ،الجزء :4 ،2008م.

46-معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب-عربي-انجليزي ،مجدي وهبة (ساحة رياض الصلح ،بيروت ،مكتبة لبنان ،ط:2 ،1984م).

47-معجم المصطلحات الفلسفية –فرنسي،عربي ،عبده الحلو،المركز التربوي للبحوث والإنماء ،مكتبة لبنان.

48-المزهرني في علوم اللّغة وأنواعها ،للسيوطي ،ضبطه وصححه ووضع حواشيه،فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،المجلد الأول،ط:1 ،1418 هـ ،1998م.

الرسائل الجامعية:

49-إشكالية اللّفظ والمعنى عند اللّغويين القدامى والمحدثين ،إعداد :بلخيرةزينب،وإشراف :رابحي عبد القادر،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي ،جامعة سعيدة ،د:مولاي الطاهر ،2014م-2015م.

فـــهـــرس

البسملة

دعاء

شكر وعرفان

إهداء

مقدمـــة ..... أ

مدخـــل 1

الفصـــل الأول :آراء البلاغيين القدامى حول ظاهرة اللفظ والمعنى في اللغة ... 23

المبحث الأول:الجمع بين الألفاظ (**الجاحظ**-أبو هلال العسكري) 23

الجاحظ 26

أبو الهلال العسكري 35

المبحث الثاني:الجمع بين اللفظ والمعنى 43

ابن قتيبة 43

قدامة بن جعفر 49

الفصل الثانـــي:علاقة اللفظ بالمعنى وأثرها في اللغة 55

المبحث الأول :**وحدة اللفظ والمعنى** 55

ابن رشيق 55

ابن الأثير 59

المبحث الثاني:العلاقة بين اللفظ والمعنى 64

عبد القاهر الجرجاني 64

خاتـــــمة 76

قائـــمة المصادر والمراجع 78

الفهـــــرس 84